

## تصدير

يجد القراء فى هذا العدد اعلانا جديدا عن مسابقة نادى القصة للقصة القصيرة والدراسة النقدية المستوحاة من واقع القصة القصيرة فى تونس . وكان الدافع الاساسى للمسابقة الثانية هو التشجيع كي تعمل المواهب النقدية على انماء الحركة النقدية التى يبقى دونها العمل مبتورا ، مجهول القيمة ، لما لحركة النقد من مساهمة ايجابية فى تطور الابداع والفن .

وهلما ذكرنا فى تصدير سابق فاننا نشير - من جديد - استغرابا ابدينا به بخصوص عدم توفر العدد الكافى من المساهمين فى المسابقة المعلن عنها سابقا . واننا اذا حجبناها مرة ، ولم يتقدم اليها مساهمون فى مرة اخرى فان هذا لا يعنى نضوب قريحة ، او عجز موهبة ، بقدرما يعنى صعوبة التزام المبدعين بتقديم انتاجهم فى حجم مخصص وعلى هيئة تيسر الفحص ، وتبعد الشبهة ، نعنى بذلك أن تكون مرقونة لا بخط اليد وأن تكون ذات عدد مضبوط من الصفحات . وبالرغم مما نقره من كلفة فى ذلك فان حجم الجائزة - المهم نسبيا ، ألفا دينار - يشفع لنا فى هذه الشروط التى بلغتنا التذمرات منها والتى لا نرى مندوحة من وجودها واشترائها . ومع ذلك فاننا قمنا بشئ من التعديل وحتى

المساعدة على الانجاز حرصا منا على تهيئة الفرصة والمناخ الملائم للابداع والخلق .  
ولن يكون هذا التعديل ماسا بالجواهر لا سيما القيم الابداعية والفنية ، فذلك  
أبعد ما يكون عن أهدافنا ومقاصدنا ، مواصلة لما دأب عليه النادى من تشجيع  
المواهب خاصة الشابة منها . وعسى أن نكون بذلك جمعنا بين الحسنيين وارتكبنا  
أخف الضررين ، والله الموفق .

قصص



## رحلة الحاج مصطفى بحثا عن العسل

كل سنة قبل أن يأتى الشتاء يفكر الشيخ مصطفى فى اقتناء نصيب من العسل .

يذهب فى أول الامر الى السوق المركزية فى العاصمة ويشترى رطلا من العسل ويندم .

يخرج إلى بعض الضواحي ويشترى رطلين أو ثلاثة من الأسواق الاسبوعية ويندم .

ثم ينطلق إلى بعض الآفاق التى سمع عنها وعن جودة عسلها ويشترى من عند بعض الباعة تحت الخيام كمية لا بأس بها من العسل ويندم ندما شديدا .  
فللعسل طعم غير طعم العسل ، فهو مزيج من أنواع غريبة من العقاقير والسكر .

قيل له مرات عديدة : إن هذا العسل ليس كسائر أنواع العسل الذى تجده فى الأسواق ، وعند الباعة ، وجب نحله فى جنان من البرتقال .. وقيل له : إن جبج نحل هذا العسل فى جنان من الورد ، وهذا العسل من الكلليل أو الشيخ ، والجبج طبيعى عثر عليه فى أعماق غاب .

ويفتح له إناء العسل ويذوق الشيخ قبل أن يشتري ، ثم يقتنى كمية هائلة ، ويعود بها فرحا مبتهجا الى منزله .

ولا تمضى أيام قلائل حتى يسخط ويثور ويندم ندما شديدا لا حد له فأول إناء العسل ليس كوسطه ولا كآخره .

\*\*\*

أخيرا قرر الذهاب إلى قرية « دبزة » فى الجنوب الغربى من المدينة . وهى تبعد أكثر من مائتى كلم عن مدينة توبان ، اشتهرت بجودة عسلها وطعمه الطبيعى .

وكل الناس يتحدثون عنها ويلهجون بذكر غسلها الصافي النقي .

يستطيع من يريد أن يتيقن من ذلك أن يدخل غابات وسواني « دبزة » أين جباح النحل ، ويرتدى الخوذة وبزة النحال ، وكأنه داخل ميدان حرب صليبية ، ويختار الجبح الذي يريده ، ويتردد عنه أمام عينيه النحل بأعمدة من دخان ، ويقتنى عسلا صافيا لماعا فى لون الذهب .

ركب الحاج مصطفى فى صباح باكر الحافلة قاصدا القرية . . وأخذت الحافلة تبتعد عن العاصمة ، وتسرع .

والحاج ينظر من النافذة مسرورا منتشيا .

لم يحدث أنه فارق المدينة منذ زمان . . . ولم يحدث أنه ركب حافلة . . . وسافر سفرا طويلا كهذا السفر . . كان منشرجا سعيدا يفكر ويقول محدثا نفسه . . إن منطقة « دبزة » منطقة فلاحية مشهورة ، تكثر فيها الغلال بأنواعها والقموح جميعها ، وتوجد فيها الغابات الممتدة والاشجار المختلفة ، والحشائش الجالية ، والأودية والأراضي الشاسعة . . وسيجد ، دون شك ولا ريب ، عسلا طيبا صافيا نقيا يلذ له . . .

<http://Archivebeta.Sakhrif.com>

وسيقتنى كمية وافرة . . ويمضى الشتاء بسلام بعيدا عن السعال ، وأمراض الصدر واللقحة ، والبلعوم والحلقوم والغضاريف والحجارة وجميع الأمراض التى يخشاها عند قدوم الشتاء والبرد الشديد ، ويحسب لها ألف حساب وحساب .

. . . جعلت الحافلة تبتعد عن ضواحي المدينة وبناءاتها المنتشرة وجعلت تسرع أكثر فأكثر ، وتدوى هادرة مرسلة وراءها دخانا أسود كثيفا يتصاعد معجججا . . .

سر الشيخ مصطفى بسرعة الحافلة وقال فى نفسه : « انه سيصل فى أقرب وقت الى قرية « دبزة » وأنه سيتحول فى كامل القرية ، ويقتنى العسل من بعض حوانيتها . . أو أنه يفضل الخروج الى مراعيها وغاباتها .

وسيشاهد جباح النحل فيها بارتياح وبهجة ، ويقتنى عسلا ما بعده عسل وما قبله ، ويقضى يوما جميلا حلوا كالشهد !!



وابتعدت الحافلة وعلا هديرها وكثر ارتعاضها واهتزازها ، وتعمقت في طريق ممتد وسط سهول .. مضت ساعة وهي تدوى وتسعى سعيا حثيثا .. ثم وصلت الى مدينة صغيرة ، سمع عنها الشيخ ومازارها مرة في حياته .

وقفت الحافلة في ساحة كبيرة قرب مقهى .. واقتحمها عندما فتح السائق أبوابها جيش من باعة خبز الطابونة والزيتون و « العظم » المروب والقازوز والسيدر « والليمون ايضا » ، وعلا صياح الباعة ، وكثر تنقلهم داخل الحافلة ، وطوافهم حولها ، وهم يصيحون ويعرضون بضاعتهم من الأبواب والنوافذ ، ويتلقون النقود ، ويتبعثر بعضها ويدخل تحت الحافلة فيزحفون اليها زحفا .. ويفارق السائق والقابض الحافلة بعدما رفعها عن محركها غطاءه وتركاه يتبرد ، ويبتعدان ويجلسان عند طباخ في آخر الساحة ينظران إلى الحافلة من حين لآخر .. ويبقى المسافرون في أماكنهم قرب أمتعتهم لا يتحركون ، يلتهمون بشهية كبيرة كل ما اشتروه من مأكولات ..

ينظر الشيخ مصطفى الى كل ذلك بعجب كبير ، فالحافلة لم تقطع خمسين كلم من سفرها كله ، والناس في أكل شديد فكان الجوع أخذ منهم كل ماخذ وكانهم بقوا أسبوعا كاملا بلباليه لم يذوقوا طعاما ولا شرابا .

\*\*\*

بعد نصف ساعة تفارق الحافلة الساحة أمام عيون سكان المدينة ، وتعود إلى طريقها الضيق الأسود ، وتنطلق فوق الاسفلت ، وتهدر لترفع من سرعتها مرسله ورائها دخانها الأسود من جديد .. يتجشأ السائق ثم يستغفر الله والقابض واقف بجانبه منحني الظهر قليلا .

ينظر معه الى الطريق ويحادثه :

- المنجى طلع
- عنده اسبوع
- الآن وقته
- صابه هذه السنه .
- صابه كما ينبغى ، ما شاء الله ، فلفل وطماطم .

- صحبه ليه .
- خدام ، خدام كبير ، وعنده القمح هذه السنه .
- يرجع الى تونس .
- والده كان عند الحاجه وما يحب يهبط ، لا باس عليه مرتاح مطمان حتى القريه ما يدورش بها ، بعيد عن الخلط والقهاوى .
- خليه رجال .
- ينتج ويصور عنده عزيمة من حديد ...

... هذا الجمع فى الحافلة واطمان . وأنزلت ستر بعض النوافذ التى تدخل منها الشمس ... بقى من يمرك يمرك ومن يلوك يلوك ، ومن يتم قرطاس زيتون وخبز الطابونة ، ومن يغمض عينيه بحثا عن النوم ، ومن يمسح يديه وفمه بمحرمة طولها متر وعرضها متر ! والحاج ينظر الى الجمع مشدوها مبهوتا ، مفتوح الفم والعينين متأففا متبرها ، والقفاف عند رجليه وأمامه وخلفه وفوق رأسه تتدلى أقمشة وأشرطة مزدهية الالوان ، ودجاجة تطل من قفة تحت المقعد المجاور له تقوقى بهدوء وتمد رأسها وترسل منقارها الى حبات قمح منتشرة حولها ...

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

... جمعت الحافلة كل قواها وتحفزت ، وجعلت تهدر هديرا قويا مرعبا .

وشرعت فى صعود جبل قرماطة فى منطقة التواريس وازداد دخانها سوادا وتنخفض سرعتها حتى تكاد تتوقف ، وتلهث وتئن وتميل حتى تكاد تنقلب ، وتعرج يمنا وتعرج يسرة ، فرد من رد البيض وتأوه من تأوه ، ورد من رد البيض والزيتون وخبز الطابونة ، وداخ من داخ ، وصاح من صاح ، وأخفى من أخفى رأسه بين يديه ، وانبطح من انبطح على أكياس القمح والشعير وكان الساعة ساعة الحساب والعقاب والحافلة فى أشد سكراتها تغط وتشخر ، وتزفر وتنخر ، تتأوه وتتلقى صاعدة نازلة ...

... بلغت أخيرا قمة الجبل بعد جهد جهيد بلغ اليأس وعادت اليها روحها واندفعت نازلة بسرعة مسايرة الجبل متبعة دورانه خفيفة مهرولة والركاب يرقصون فوق مقاعدهم .

ثم ازدادت سرعتها وازدادت رقصات الركاب وهزاتهم فوق المقاعد حتى كادوا ينطلقون من فوقها وينطحون السقف .

خف الانحدار واجتيز الجبل ، وبقيت بعض هضاب شبه مرتفعة ، وجعلت الحافلة تنزلق انزلاقا متماثلة تمايلا لطيفا هادئا لا يسمع لمحركها دوى ولا شخير ولا يشاهد وراءها دخان .. هدا الركاب ، فتحت بعض النوافذ لتغيير الهواء بهواء صاف نقي ، وامتد الطريق واستوى وبانت على بعد بعض القرى والمداشر ...

جعلت الحافلة تنتقل من قرية الى قرية ، وينزل منها ركاب ويصعد اليها ركاب .

جعلت تقف بدون ملل ولا كلل عند كل اشارة وعند كل دشرة .

ويصعد اليها فلاحون ، وتمر القفاف والصناديق والحزم والرزم فوق الرؤوس والدجاج والاوز والجرمان يتصايح في قفاف يمدونها من الأبواب والنوافذ .

ويكومون أكياس القمح والحنطة والفواكه الجافة والأقمشة والقفاف المملوءة المخاطة ، في آخر الحافلة ...

\* \* \*

وصلت الحافلة في نهاية الامر الى قرية « دبزة » وحطت رحالها لبضع ساعة .. انزلت القفاف والصناديق والاكياس من الابواب والنوافذ .

ونزل المسافرون من كل منفذ ، وصعد العملة فوق الحافلة ينزلون الاكياس ونزل الشيخ مصطفى بين آخر الركاب معكر المزاج ، متعشر الخطى ، كاد حذاؤه يمزق وكاد عكازه يتلف .

وابتعد عن الجمع يردد انفاسه ويسرح ساقيه ... وفارق ساحة القرية .

كانت القرية غير ضاحكة ولا مبتسمة ، كانت ساكنة هاجعة ، معظم الحوانيت مغلقة ، جل الطرقات خالية .. انطلق الشيخ مصطفى في نهج من

أنهج القرية وسرعان ما ابتعد ٠٠٠ شاهد ساحة كبيرة فسيحة الأرجاء تحوط بها حوانيت كثيرة ، وأقواس ، وبعض أشجار خضراء مرتفعة وسطها .

شاهد على بعد حانوتا ليس كسائر الحوانيت ، أمامها صف طويل من الرجال ، فقال في نفسه :

— هذا متجر كبير ، العسل موجود فيه دون شك .

أخذ مكانه في الصف ، وجعل يتقدم ببطء ويقترب من باب الحانوت رويدا رويدا ٠٠٠ في النهاية لاحظ أن الذين يخرجون من الحانوت يحملون قفافا صغيرة فيها قوارير حمراء في لون ليس كلون العسل ؟ !

اهتز الشيخ مصطفى واستغفر الله .

فارق الصف بسرعة وأخذه غضب شديد وابتعد .

لم يدر ماذا يقول ولا ماذا يفعل . وجد أمامه مقهى فتهاك على كرسي .

أقبل النادل وهو ينظر الى الصف الطويل بألم شديد ، نظر النادل إلى حيث ينظر الشيخ وحك رأسك متأوها .

كان لابد للشيخ أن يتكلم والا انفجر غضبا فقال للنادل :

— شيء لا يطاق ؟ ! صف طويل على الخمر ؟ !

فأجابه النادل بحسرة وهو لا يزال ينظر الى الصف في آخر البطحاء :

— صحيح ، كل يوم هكذا كما ترون لا يوجد مع الأسف إلا حانوت واحد في القرية كلها !!

قام الشيخ لحيته وانطلق مسرعا الى محطة الحافلة .

محمود بلعيد



## اليوم الأعرج

رفع الحرقه التي تحجب وجهه وحاول ان يفتح عينيه فما أفلح فأرخی رأسه ثانية وتمدد يراود النوم وهو يعلم أنه لن يعاوده وقد اخجله هذا الطائر الحقير أبو حبيبى الذى تنبهه خيوط الفجر فيشرع فى الغناء قبل أن يسعى للارتزاق .

شغل هذا الطائر فكره فمعضلته أن يجد مأوى يخلصه من ازعاجه فى البكور حين يحلو له النوم . ولكن أين المكان الآمن وهو الذى ليس له مكان . حينما أخفى نفسه فى الازقة المقفرة فى البيوت المهجورة الا ولاحقه ضجيج هذا الطائر فينزعه عنه لباس الليل .

قال يخاطبه فى ذلك اليوم : من كلفك بايقاظي . وهل تتقاضى أجرا على ازعاجي ؟ اذهب وهاجر مثل الطيور . أنا أعرف أنك صنعت من الليل فلماذا تحسد الآخرين عليه ها انى استيقظت ، وها انى استشيرك . ما أنا صانع بيقظتى .

لو كان لى جناح مثلك اذن لجبت العالم بحثا عن أى شىء ، حتى عن اللاشىء ، المهم أن أتعرف عن الجمال فالنظرة من الاعلى تبعث عن التأملات ، وحتى التجمع لو صادفته أفلا يستحق ذلك ، وصدق الطائر وأطال .

عصر الاعرج عينيه ونفضهما مما علق بهما وخاطب الطائر ضاحكا :

وتحاجنى أيضا ، لو كانت بقربى حجارة لرميتك فأرديتك . ولكن اذهب واقتحم البيوت وتسول وغير موقعك قبل أن تصاب وقد تكون تركت فى عثك فراخا ينتظرون . أما أنا فما من احد فى انتظارى وحتى لو ذهبت من أجل الفتك بك الى السجن فلن أكون الا أسعد مما أنا فيه .

نهض يعرج متثاقلا يقصد صانع « الفطائر » مدد يديه يدفئهما بنار الفرن وأخذ يذكي الموقد بأعواد الحطب . وفرك يديه يمر بهما على القدرة ومرق الفطير السخن .

وأحس بالدفء ينتابه وهو يلوك الفطير يعممه على بقية أضراسه ورائحة الزيت المحروق تصل الى أعماقه . وفرك شعر رأسه بما علق بأصابعه من زيت وتحسس جيوبه وهو يغادر الدكان . وقال يخاطب الصانع :

ربما فى الغد والذى يليه . ولم يتركه الرجل يتم .

فقد ضحك وكأنه يخاطب نفسه قائلا :

هذه فطيرة « بن عباس » .

ورد الاعرج : رضى الله عنم أطعنا وتسبب .

واردف سرا : هذا ابن عباس أطعنا فأين العبيسى الذى يأتى بالسبيسى وانت تعرض صدرك الى خيوط أشعة الشمس لينفذ الدفء الى داخلك تنتظر تلك الطيور التى لها مناقير اصطناعية تسمى السجاير وقلت هؤلاء الذين يقومون باكرا لا يستعملون غير السعوط .

آه لو وجدت من يدلني على عقب سيجارة اذن لامضيت له صكا على بياض. والفلاحون يمرون أمامك حفاة وشبه عراة وهم يحثون الاحمره المحملة بالسماد ومن خلفهم تسعى الكلاب ، وقلت : يا هؤلاء المساكين ؟ ترى متى استيقظوا ؟ لعل الطائر اللعين هو الذى فعل بهم ذلك . انهم - ولا شك - يمشون مرغمين فهم لا يغنون كما يفعلون مساء وهم يعودون .

وتذكرت الآن فقط وجه أمك وهى تغربل دقيق القمح لتصنع منه كسكسا فترمى بحبات يلفظها الغربال الى تلك الطيور التى تطيل يقظتك فتناغمك وقت البكور .

وتذكرت أخيرا حكاية أمك عن تلك المرأة التى يجتمع حولها الطيور فى مثل هذا الموقف فترمى لها الحبوب لانها ترى أن من بينها ولها تؤمن بكراماته.

وقذف الطريق رجلا أنت تعرفه لا محالة وبينكما أمر يجب أن يغيب عن ذهنك . وما أن اقترب منك حتى اخرج علبة السجائر . وكدت تصيح في وجهه : اعطني واحدة ! ولكنك كتمت ما بنفسك وقلت تنهاها : أنصبح من المتسولين آخر الامر ؟ وممن ؟ وقررت أن تسير في اثره حتى يرمي بعقب السيجارة فيكون من حقك أن تلتقطها وما سقطت من وجهك حبة من ماء الحياء .

إنه بدين وأنت أعرج فلا يمكن أن تفصل بينكما مسافة . وإنك لمن خلفه . تقدر ما يفصل بينكما . تدبر الخطط اذا ألقي العقب ماذا أنت صانع . ولو شاهدك وانت تنحنى . وقلت : لا ! المهم أن أركز النظر وأتابع حركاته فلعله يلقيها حين أكون في خلوة مع هذه الافكار البائسة .

وبعد أن جعلك تتبعه لمسافة ليس من الهين على مثلك قطعها من أجل غرض تافه كالذي أنت تتصيد الآن ، بحث في جيوبه .

لعله يبحث عن علبة الكبريت قلت تحدثت نفسك : لو كانت هي واحدة لبادرت بتقديمها اليه حتى لو أساء الادب نحوي .

ولكنه لم يخرج غير ورقة مطوية ووقف في منعطف الزقاق يتثبت الحروف . وأنت تواريت فلا يظهر منك غير طرف ثوبك . ولكن العين ظلت ساهرة تتابع تحركات السيجارة التي انتقلت الى أعلى الاذن . وأخيرا طوى الورقة وحمم وألقى بصاقا على الحائط . ثم أخذ يتدحرج وتحركت أنت أيضا .

وقلت تستحنه : اشعل أيها الفيل الاحمق . فنحن الآن نشترك في فرحة واحدة عنوانها « تصاعد الدخان » أمن أجل عقب سيجارة تطوف في الدنيا . ولعلك تندم آخر الامر فتبقي عليها والله لو فعلتها لاقتحمتك واغتصبتها عنوة وليقل الناس بعدها ما شاؤوا كما اشتهرت بينهم بالجنون . سوف تعجبون من أمر هذه الملاحقة وتقولون لم هذا الاصرار ؟ أمن أجل عقب سيجارة يتجشم الانسان ما أنا مقدم عليه ؟ ولكن لو عرفتموني لما أنكرتم علي ذلك . فقد يتعلق الانسان بأتفه من هذا ويعتقد عندها أن لا شيء ينقصه غير الذي يرجوه . كل الدنيا وزخرفها ينصهر عند مشيئته ، ولتعلموا أن الاخفاق قد



يقود الى الجنون . كم رجلا جن من أجل امرأة وحشة عقب سيجارة ألد منها بأضعاف ؟ كم هي العداوة التي دامت عصورا من أجل حائط خرب . أو شجرة لا تثمر شيئا ؟ هل تريدون أن أقول لكم : انى رجل لم أتزوج بغير السيجارة ؟ ومن أجل الحصول عليها يمكن أن أفعل كل شىء لانه الحب . ألا يكون الحب فى غير النساء . اسألوا عظماء الدنيا انهم يفعلون كل شىء ثم يعودون لمهوياتهم ، وقد تكون أحقر مما أمارسه .

ظل الرجل يترهوك ومن ورائه أنا أعرج وفى منحدر يفصل بين زقاقين تقدمني تدفعه بدانته بينما عاقتني عاهتي ولكن سوف تتقلص المسافة فأمامنا الارض صاعدة وسوف يلهث فيتبعه الصعود . رفع يده يتحسس مكان السيجارة حتى ظننت انه سيحولها الى شفتيه وقلت : لو أشعلها الآن فسيرغمه اللهاث على السعال فيتخلص منها ولكنه فعل ذلك ليطمئن على وجودها فقط . وفعلنا فى الطريق الصاعدة تعادلت الابعاد حتى اننى هدأت من سرعتى أنا المعاق . وقلت وقتها : لعل عاهته فاقت عاهتى بكثير من حيث عسرى ويسره . وداهمه العطاس فجأة فارعد وتمكنت السيجارة من الافلات فتمددت على الارض . من شدة فرحتي كدت أركض وقد هممت لكن أحد الصبية - ولا أدري كيف انبثته الارض - سبقنى اليها وقدمها الى صاحبها ونال بذلك الجزاء قبل ان تصل اليه لعناتى وحقدى .

قال الرجل صاحب السيجارة يسأل الطفل :

- ابن من أنت . ولم ينتظر جوابا لسؤاله حيث تهادى :

- لا بد أنك أبله ، والا لما لفت نظرك حدث بهذه البساطة . أنا أعرف أنك لو وقعت يدك على حافظة نقودى لما رددتها إلي وبهذه التلقائية .

ورد الطفل : لو كنت أبله كما تتوهم لدست عليها برجلي . أسقط فى المرة القادمة محفظة مجوهرات وسترى أنها ستصلك الى بيتك . أنك حكمت علي من نظرتك الى ثيابى ولكن يجب عليك أن تحولها الى ما تحت هذه الثياب .

وكدت أتدخل لولا أننى سافضح خطتى .



وقلت أوبخ الرجل في سرى :

- يا عار الرجال . أبهذه السمينة تقدر ان تدوس كل الاخلاق وكل المخلوقات . لن أغفر لك حتى لو تناسيت سخريتك وتلك القسوة حين أصبت في رجلي وما زالت تحت ثقل الاحمال وأنا أصارع الالم حتى الاغماء وأنت تنهر الفعلة زملائي لينفضوا من حولي وتدفعني برجلك : صائحا : كفاك تمثيلا . مت في مكان غير هذا . ولما أعلموك أن ساقى قد انكسرت قلت وأنت لا تبالي : لم يدفعه أحد لحمل الاثقال فهذا عمل الرجال الاقوياء وأنت أعلم الناس أنني منذ النشأة صنع مني حمال . ولو جمع كل العرق الذي تصعب مني لانبث غابة من الاشجار .

وقال الرجل السمين يودع الطفل :

- أنت وقع على كل حال . ولن تكون أمك إلا .....

وقال الطفل بعد أن تاهب للهرب وقد أطلق ضراطا من شفثيه : يا برميل القذارة يا أكل أموال اليتامى . يا عربة محملة بالتبن . يا . . . يا . . .

ولو أنا بي قدرة على الجري لعدوت وراء الطفل أضمه وأقبله شاكرا فقد ترجم عما في نفسه حين كنت عاجزا عن التبليغ .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

واغتناظ السمين وأرعد : ابن من هذا الكلب . والتفت ناحيتي يرمقني وهو يلهث من الغيظ وكنت أولي الادبار ونظراته تتهمني وساورني خوف لكني تلهيت عنه بأن انحنيت التقط ورقة عليها كتابة فطويتها بعناية وحشوتها في ثقب الحائط وتحرك الرجل وهو يدمدم ليسب ويشتم .

تحرك فتحركت اثره . وقلت : لا بد أن يطفىء غيظه فيشعل السيجارة .  
وفعلا فقد رفع يده الى أعلى يتحسسها فقط ولم يفعل غير ذلك .

وقررت هذه المرة أن أكف عن ملاحقته . وكاد اليأس يقنعني بالعودة لكن الاصرار وقف في طريقي يستحثني . أكل هذه الاتعاب تبدها رياح الفشل . لا . لن أترك الملاحقة حتى لو ذهبت الى آخر الدنيا وحتى لو قضيت بقية أيام العمر في المتابعة فانت مصر .

أصدقك القول أنني ما كنت أصدق أن مثل هذا الرجل البدين يقدر على قطع المسافات التي اتعبتني ، فقد تجول بي في مجاهل ما كنت ارودها ولا

حدثتني نفسي يوما أن أرتادها . وما كنت أظن أن بلدتنا بهذا القدر من الاتساع فهي مدينة كبيرة بحق . ولكنها تنفصل الى قرى كثيرة أسمع عنها فقط . وهذه القرى متجاورة فقد يفصل بينها حائط أو زقاق ؟ وتفصل بينها أيضا أخلاق وعادات يتغير كل شيء من قرية الى أخرى حتى شكل البناء وأصناف الاكل وأنواع الملابس . الزمن في ساعاتهم يختلف فالصلوات في أوقاتها تتنافر . هذه البلدة التي تعرفت عليها اليوم وأنا أتعقب رجلا قد يلقي بعقب سيجارة فالتقطها .

كان الناس يحيونه أينما سار . وينظرون الي شزرا . ولعلمهم يسألون عن السبب الذي حمل هذا الحمال الاعرج الى معاقلهم وهم انما يفارون على نسايمهم من العيون الاجنبية .

سيتوقف الرجل البدين أحيانا بعض الناس يهمسون في أذنه . فيشير برأسه ايجاباً وتنفرج أساريره ، وأخرى يشير بحركات رافضة ويستعمل كلتا يديه للإيغال في الرفض .

وعاودني الملل فقررت أن أدنو منه وأطلب منه أن يمنحني سيجارة . سيجارة بأكملها ولو فعل ذلك لفقرت له كل زلة اقترفها في حقى وفي حق الآخرين . ولكن قلت لنفسي : لو رفض ، وقد اسمعك مر الكلام ، أفقتارى بكل سهولة أم سيكون لك معه شأن آخر .

واصل أيها الاعرج وتوكأ على الصبر فانه سبيلك الوحيد .

والتفت الرجل البدين كأنه يتحدثانى وأنزل السيجارة من أعلى أذنه وسواها بأصابعه وغرسها بين شفتيه . ولكن سعالا حادا فاجأه فائاه ، فجلس على دكة هناك ليستريح . وكان موقفى حرجا فهل أجلس أنا أيضا ؟ هل أتقدمه فيضيع ما خططته ؟ فقصرت الخطى وتباطأت فاذا الرجل يعيد السيجارة الى شفتيه ويبحث في جيوبه .

فدعوت الله أن يشجعه وأن يلهمه الصواب فيعثر على علبة الكبريت . ومن يدري فقد يكون نسيها . فعلا استجاب الله لدعائى فقد قدحت النار وتساعد الدخان . فكدت أصفق تشجيعا . وكدت اسجد حمدا لله .

ابو بكر العيادي :

## ما لم يذكره التحقيق

صدقني أن الامر لم يتم بغير هذا الوجه . بت ليلتي تلك وسط فحيح الاجساد البشرية المتورمة بعذاباتها والهواجس تقلب راسي بمخالب من حديد . كانت تنبعث من غرفة الحجز روائح أنفاس كريهة ورطوبة عطنة وتعاليق شني ووجدت نفسي أتكور داخل أعماقي الملتهبة الصاخبة أنتظر مطلع الفجر لأنجو من هذا المكان المجدوم .

لم أكن ساعتها أدري بالضبط لماذا جئ بي الى ذلك المكان . صحيح أنسى احتسيت أقداحا كثيرة من البيرة ولكني لم أفقد لحظة وعيي بكل ما حولي .

حين اجتزت مدخل الحانة ، صدمني وهج متعفن وسحب كثيفة من الدخان ، غامت خلفها الوجوه الجالسة على مقاعد متناثرة في فوضى حول مناضد صغيرة تلمع فوقها القوارير والكؤوس والعلب وطفائيات السجائر ، أو المتكئة على المشرب في سباق مع الساعة ، تفرغ الاقداح في أجوافها ، ثم تتحسس بطونها بكثير من الرضى .

كانت الحانة مضأة بنور خافت كالفسق وقد بدأت المناضد تغوص في عتمة المساء ، فتزداد الأصوات توهجا ويحتشد السكر على بوابات الصحو فينبعث الغناء حيناً والبكاء حيناً والزعيق أحيانا . لمحت منضدة لم يبق فيها غير زجاجات خضر منتصبه كشواهد قبور ، فتسللت إليها عبر الأجساد المنهوكة والنظرات المتعبة .

كانت تلك طريقتي لأدحر ما تلاقيني به أيامي المتشابهة . لم يكن يهمني أن أعرف إن كنت على خطأ أو على صواب . المهم عندي أن أمارس بعض لحظات الهروب علني أنسى ، أو عسى أن أخلق لى عالماً أصوغه بنفسى وأحدد ملامحه وأبعاده . لا تؤاخذني إن سرحت . قلت إذن : اني جلست الى منضدة فجاءني



النادل بما شئت ، وان أردت الحقيقة فانه لم يجئني إلا بما قدر عليه جيبي .  
 بعد كاسين سرت في نشوة خفيفة ، فأخرجت جريدة ورحت أقرأ بعض  
 القضايا المحلية والمستوردة ، فانت تعرف أن جرائدنا ، إذا ضاقت بها الحال  
 ولم تجد قضية تنشرها ، تستورد لنا كمية من القضايا الأوروبية والأمريكية  
 كما نستورد اللحوم والدجاج والالبان والعطورات والسيارات . لا أدري ما  
 السبب في ذلك . ربما لتكون الاستفادة من الغرب شاملة لا يشوبها نقص .  
 المهم أنني توقفت عند عنوان مثير لقضية اغتصاب هزت مدينة صغيرة من هذه  
 المدن الواقعة على أحد الأنهار الأوروبية والتي لم أسمع بها قط . قطعت بعض  
 الاسطر ولكن البيرة والدخان وضيقا بداخلي نفست على هذه المتعة الصغيرة .  
 طويت الجريدة جانبا وطلبت قارورة وطبق فول . تجرعت الكأس بتلذذ طفولي  
 ولكن الاحساس بالضيق ظل يعكر صفوى . ملأت الكأس ثانية وصورة ذلك  
 الرجل ماثلة أمام عيني .

كنت ساهما أقلب النظر في هذه الشفاه التي تتحرك بلا هوادة دون أن  
 يصدر عنها غير أصوات مبهمه أشبه بطنين البعوض فيخيل إلي أن الجميع  
 يتكلمون دون أن يسمع أحدهم الآخر . انتهت فجأة الى رجل ذى أنف  
 أفطس وشارب كث وحك لا يستهان بحجمه جالس الى منضدة خلفي وأمامه  
 كأس مملوءة نبيذا ، لا تمتد إليها يده إلا لماما ، وهو يشعل السجارة بأختها ،  
 ويرسل نظرات من يبحث عن شخص ما أو شىء ما . كان جالسا حذو رجل  
 أدرد وخط الشيب رأسه وراح يلقي بصوت متهدج أشعارا شعبية سمجة يهتز  
 لها ضحكا شابان جلسا قبالة ، فيتلوى الأول حتى تبين أسنانه البلاتين  
 ويضرب الثانى كفه بكف الأدرد معتدا بسوار ذهبي فى معصمه .

أعرف أن هذه التفاصيل تبعد بك عن أصل الحكاية ولكنها ضرورية فى  
 رأيي حتى أجمع كل الخيوط التى تقودنا الى تفسير مقنع . لأن الأمر - كما  
 قلت لك - لا يمكن أن يكون قد تم إلا بهذه الكيفية .

كنت أتابع حركات الأدرد وهو يحشرج بسعال متقطع دون أن يتخلى عن  
 التدخين والضحك ورواية الطرائف ، حين امتدت يد تربت على كتفى وجاءني  
 صوت أحد أصدقائي مسلما ، ظل واقفا لحظات يسألني وأسأله حتى اهتدى  
 الى كرسي شاغر فجاء به ، وانحشر حذوي .



لم أكن قد تخلصت من تلك المرارة التى ولدها فى ذلك الرجل الذى كان يتلذذ أن يرى الناس تاتيه صاغرة من أجل ورق بسيط لا يكلف اعداده ثوانى معدودات ، ولذلك ما ان أتانا النادل بزجاجة بيرة وثمان ممزوج بالكوكا حتى انفرط عقدى وانحلت عقدة من لسانى ، فرحت أنفـس عما اضطـرمت به دواخلى حدثته عن الأقدام التى كلت بين الغدو والرواح ، والركب التى خوت فى الصعود والنزول ، والنفوس التى ملت أن تظل ككرة الصولجان .

حدثته عن ذلك الرجل الذى يستطيب أن يرى آمال الناس معلقة فى جرة من قلمه أو ختم يوقعه ، وكلما أدرك أن الأعماق اهترأت والأحلام تصدعت يحدج المنتظر باستعلاء ويصرفه بحجة أن دوره لم يحن بعد .

كنت أتحدث بعصبية ظاهرة . وكان صوتى يعلو شيئاً فشيئاً ، ولم أنتبه إلا والجالسون خلفى يلتفتون نحوى . لم أدر - ساعتها - ماذا قلت بالضبط ، ولكنى مازلت أذكر حتى الآن أن الرؤوس تقاربست ، وأن همساً جرى بين الشبابين والرجل الأدرد . عدت إلى صديقى أحدثه . ولما التفت ثانية لم أر الأنف الأفطس . كانت كأس النبيلة فى مكانها ، أما صاحبها فلم أقف له على أثر . لم أدر لماذا شعرت بانقباض مفاجئ فى تلك اللحظة .

جاءنا النادل بنوبة أخرى وعاد صديقى يسألنى عن كل شئ وعن لا شئ ، وأسأله عن أشيائه الغامضة كما يقول دون أن يكف الشبابان والرجل الأدرد عن النظر ناحيتنا .

مر ربع ساعة ، نصف ساعة ، لا أدرى بالضبط ، اصطفت القوارير على المنضدة ، احمرت العيون ، تعقدت الألسن ، ترامى على الشفاه زبد مر . ولم أشعر إلا وثلاث مسلات فرعونية تنتصب أمامى وتطلب منى إحداها أن أرافقها فركت عينى فاذا اللهجة الآمرة والبطاقة المشهورة فى وجهى لا تدع أى مجال للنقاش وحتى الاستفسار .

حين ساقونى توقفت فى الحانة كل حركة وسكنت الأصوات وظلت العيون مشدوهة تتابع المشهد فى فضول ، حتى صديقى أجمته المفاجأة والرهبة فظل فى مكانه يرقبنى وأنا أتجه نحو الباب والأيدي تمسكنى من كل جانب ، حين بلغت الباب سرت همهمة ثم عاد اللفظ من جديد يملأ الحانة . أحسست أن

ثمة ضبابا كثيفا وريحا غافية تصحو في هبات فاترة ومتباعدة ولكنى أبصرت كتلة بدنه معتمة في غبش الضباب قبل أن ينقشع وتتشابك عيناى المهدودتان بعينى « الأنف الأفطس » ثم يبتلعنى الظلام خلف قضبان السيارة الرابضة فى انتظارنا .

ووجدت نفسى أحشر فى غرفة ضيقة مظلمة لا يضيئها غير مصباح شاحب يتدلى من سقفها العالى وحولى مجموعة من العربدين والنشاليين والشطار والعيارين . كانوا مزيجا من تلك الوجوه المستكيننة التى ترقب طلوع كل نهار لكى تخرج الى الشوارع ذاتها فتكسب قوتها بطرق ملتوية ثم تعود الى بيوتها فى أذيال المدينة ، ومن تلك العيون التى تضج بالخبت المتسرب من وراء أقنعة متعددة .

جلست على الأرض ضاماً ركبتي إلى صدري ، مسنداً ظهري الى الجدار رغم رطوبته . غفوت قليلا واستيقظت على صوت ينادينى ونشار حديدى ساخن يحرق جفنى . سرت بين حارسين وآثار الخيبت المتوالية تنهال على رأسى بضربات موجعة .

فى تلك اللحظة - صدقنى - لم يكن يهمنى ما سيسفر عنه التحقيق معي ، فقد تيبس جلدى من كثرة الكدمات ولكنى كنت أتطلع بشغف مرضى الى معرفة نوع الاثم الذى ارتكبت .

أدخلنى الحارسان غرفة محاطة بستائر سود بها مكتب كبير بادى الاهمال وأمامه منضدة عليها كشاف وبجانبها يقف رجلان متوسطا الطول ، أحدهما غزير الشعر نحيف ، والثانى مستدير الوجه بارز البطن استعار بعض خصلات من ناظريه ليستر صلعا زاحفا . لاشك أنك تعرفهما .

بعد انصراف الحارسين ، أغلق النحيف الباب وأشار إلى بالجلوس الى المنضدة ، ثم أشعل الكشاف فى وجهى ، أمسك الاصلع ملفا وراح يقرأ اسمى وسنى وعنوانى ، توقف قليلا ثم قال :

- أما زلت عاطلا ؟

فأومات برأسى .

سألني النحيف :

- هل لديك سوابق ؟

حركت رأسي نافيا ، فابتسم الأصلع ابتسامة باهتة وقال :

- صحيح أنك لم تدخل السجن ولكن ملفك ليس نظيفا تماما فقد سبق أن تم إيقافك .

وراح يتلو بعض سوابقي :

- المشاركة في مظاهرة طلابية .

كان ذلك احتجاجا على انتصاب قوات الأمن في الجامعة ، أتذكر ، ولكنني لم أعلق .

سوى ربطة عنقه وأضاف :

- المشاركة في مسيرة شعبية .

فقلت :

- كان أقل ما يمكن أن تقوم به للتنديد بالاعتداء الصهيوني على إخواننا وأرضنا .

هز رأسه بأعجاب مصطنع والتقت عيناه بعيني زميله فابتسما في نفس اللحظة ابتسامة بلهاء .

- ارتياد بعض المراكز الثقافية المشبوهة .

قالها وهو ينظر إلى نظرة فاحصة ، فقلت ببرود :

- إذا كانت كذلك فلماذا لا تغلقونها ؟

ضحك ضحكة عالية حتى انقشع رأسه الأصلع الى الخلف فتمردت الحصلات المستعارة عن موضعها ، سواها بحركة بطيئة ثم عاد الى ابتسامته البلهاء .

- هذه المرة ، لن تكتب لك النجاة .

ساورني احساس بأن مصيري تقرر قبل أن يبدأ التحقيق . امتدت يدي الى وجهي في محاولة لستره من حزم الضوء القوية المنبعثة من الكشاف .

- أتعرف لماذا جئنا بك ؟

توثبت كل حواسي عند سماع السؤال ، لأنني كنت فعلا أتحرق شوقا لمعرفة سبب ايقافي هذه المرة . مرت لحظات صمت شعرت فيها بقرع قوي يطرق رأسي واهتزاز عنيف يتراوح بين جوانحي ، وانهاال الجواب علي كالمطرقة :

- أنت متهم بارتكاب جريمة قتل .

فجأة ازداد الكشف توهجا أو هكذا خيل الى ، حاولت أن أتبين ملامح الرجلين فقد راودني شك مباغت بأنهما انما يريدان أن يمزحا علي حسابي ، ولكن الرجل أعاد علي الاتهام بنفس النبرة الباردة التي لا تدع مجالا لأي شك توقعت كل أنواع التهم إلا القتل .

سألت بدوري :

- قتلت من ؟

فجاءني صوت النحيف حادا كالنصل :

- نحن نسأل ، أما أنت فمهمتك الإجابة فقط .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

- ولكن كيف أجيب عن أمر أجهله ؟

- بل تتجاهله .

- أنا لم أقتل أحدا .

- بل قتلت .

غصت في ثنايا ذاكرتي أبحث عن حادثة ، عن شجار ، عن خلاف قد يكون سببا في توجيه الاتهام الى ، إثر وفاة شخص ما ، ولكن دون جدوى .

حاولت ثانية ولكن الاصلح لم يمهلني :

- أين كنت قبل أن يقبض عليك ؟

- في الادارة العمومية .

- وفي الصباح ؟

- في الادارة العمومية أيضا .



- وقبل ذلك بيوم ؟
- فى الادارة كذلك .
- سألني النحيف :
- ماذا تفعل ؟
- أنتظر دورى لأستخرج بعض الأوراق اللازمة لـ . .
- قاطعني الأصلع :
- هل تستطيع أن تثبت وجودك بالادارة خلال هذين اليومين ؟
- كان الاعياء قد بدأ يدب فى أوصالى . وكنت أجد صعوبة فى التركيز .
- تذكرت الادارة وذلك الموظف السادى وتلك الوجوه التى تراها فلا تثير فيك أى شىء .
- الوجوه تتبدل كل يوم ، بل كل ساعة . من يحالفه الحظ ويكون فى جيبه ما ييسر أمره لا يمكث طويلا ، أما من خفت موازينه فأمره لله .
- قال الأصلع بغلظة :
- هل لديك أدلة على ما تقول : <http://Archivebea.com>
- قلت ببرود :
- الأدلة واضحة وضوح الشمس ، وليس من مهمتي البحث عنها .
- قال النحيف موجه إصبعه نحوي :
- اتعرف أن هذا ثلب لموظفين عموميين ؟
- الثلب سمعناه منهم جهارا حينما احتججنا .
- صاح الأصلع ظافرا :
- ها هو ذا الدافع !
- سألت :
- أي دافع ؟
- دافع الجريمة .
- أية جريمة ؟

- كل قاتل له ما يدفعه الى القتل .

قلت بانفعال ظاهر :

- أنا لم أقتل أحدا .

دنا مني النحيف وقال فيما يشبه الهمس :

- تنكر أنك اعترفت أمام الناس ؟

- أين ؟

- في الحانة .

كنت على وشك الانهيار . قلت بمزيج من التضرع والاستسلام :

- أنا لم أعترف بشيء لاني لم أقتل أحدا .

قال الأصلع وهو يخلع سترته ويضعها على كرسي قريب منه ويفك ربطة عنقه :

- ألم تعترف لصديقك على مسمع ومرأى الجميع بأنك قتلته ،

- قتلته ؟

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

- أي نعم . قلت إنك قتلته .

صدقني أنني شعرت في تلك اللحظة بالذات بموجة برد قارس تكتسحني رغم حبات العرق التي تجمعت في رقبتى وتسملت تحت قميصي . وعادت بى الذاكرة الى تلك الجلسة التي جمعتني بصديقي في الحانة . تذكرت الفم الأدرد والاسنان البلاتين والسوار الذهبى والأنف الأفطس . وتذكرت أنني قلت كلاما عن ذلك الموظف السادى جلب انتباههم جميعا ، لأنهم لم يسمعوا - حسب اعتقادى - إلا الكلمة الأخيرة . تلقفوها الواحد تلو الآخر حتى وقعت في اذن « الانف الأفطس » فهب لاداء مهمته . وكان ما كان .

حين وصلت الى هذا الحد من تجميع الخيوط انبسطت أساريى وشرحت للرجلين الحكاية . وقلت وعلى وجهى رقراق سرور واضح :

- لقد قلت لو لا مخافة الله لكنت « قتلته » .

- تبادل الرجلان نظرات سريعة ، واقتربا مني وقالوا بصوت واحد :
- الأمر سيان .
- وأضاف الأصلح :
- الفارق بالدرجة لا بالنوع . فنية القتل موجودة ، والدافع موجود . . .
- أتذكر أنك حاقداً على ذلك الموظف ؟
- ولكن . . .
- لتعلم أن عناصر الجريمة في قضية الحال موجودة : الدافع ، الفاعل ، المفعول ، المكان ، الزمان . . .
- صرخت بكل قوتي وقد ازدادت أوداجي تورماً :
- والفعل ! أين الفعل ؟
- فقال النحيف وبسمة شامخة تنبأ عند زاوية شفتيه :
- لا يهم . نستعير عنه بالنية . أليست الأعمال بالنيات ؟ ونيتك كانت القتل وهذا كاف .
- وعلا صوتي في زعيق مستمر ثم أخذ يضعف ، يضطرب ، يتحشرج ، يكاد يختنق ، يتلاشى ثم لا يلبث أن ينفجر صرخة ألم مدماة .
- تلك يا صديقي حكايتي .
- دفع رفيقي الغطاء برفق وأشار الى أسماء كثيرة محفورة على جدار الزنزانة وسط شعارات ووصايا وكلام بذيء ، وتقدم الى حزمة الضوء المتسرربة من الشباك الوحيد ذي القضبان السمكية ليقوم ببعض الحركات الرياضية ثم عاد الى فراشه فجلس على حافته وقال :
- حكايتك بسيطة جداً ، فلتسمع الآن حكايتي .

**أبوبكر العيادي**

تونس 17 - 9 - 1987

## جلول عزونه

## همة

عينها من بعيد تنظران اليه .. وضحكاتهما تصل الى أذنيه .. والنادل يحوم حول الجلاس .. وهو قابع لا يحركه جمال هذه الانثى الفاتنة .. ولا تطربه هذه الهمسات ولا هذه الانغام الموسيقية الشجية التى تتابع الارجل توقيعاتها فى حركة سريعة رتيبة ...

كان وسط جمع ضاحك ، مرح قد تفتى شيوخه وتصابت عجائزه ونسى شبابه كل شىء الا أنه يعيش ويتمتع .. ولكنه هو كان جامدا .. يلتهم سجائر أو حلوى ...

فمه ما انفك يفتح ويفلق .. يأكل ويشرب ويتلمظ .. قد فتر كل شىء فيه وبان الانحلال والتعب عليه .. الا عيناه فهما كبيرتان مفتوحتان على وسعهما تنظران بقلق الى كل شىء : الى حذاء تلك المرأة الطويل الابيض .. الى تلك الصورة الحائطية التى لا تمثل شيئاً الا لطخات حمراء وبيضاء .. الى خد هذا الذى يجلس بجانبه وقد شوهه جرح قديم عميق .. الى أسنان هذه العجوز المرتعشة .. الى هذه الأرجل المكشوفة الملتوية .. الى دخان السجائر الذى يملأ الجو والذى لا يهتم له أحد .. الا هو .. لأنه يخنقه ..

كانت هذه الانثى الفاتنة تنظر اليه باستمرار .. ولكنه ما ارتعش ولا تورد خده كما كانت عادته ...

ما كان يشعر بأى شىء .. وما كان يهتم بأى شىء .. انما كان يتمنى فقط أن يرى عينيه ... كان يشعر أن حياة خاصة تدب فيهما ... وكان فتور جسمه قد ضاعف نشاط عينيه ... كانتا لا تستقران ... قد حوتا كل شىء ... وخاف أن تكونا قد برزتا أكثر من قبل ... لذلك كان يتمنى فقط أن تكون له مرآة .

أما كل ما حدا هذا فلا يهمه ...



لقد كان يخاف من قبل أن يمر شبابه دون متعة .. كانت تخوفاته تلك من باب تهويمات المراهقة ...

أما الآن وقد عرف ما عرف ... وقد صدم ما صدم ... فانه لم يعد يعبأ بشيء ...

إلا أن يعرف مدى بروز عينيه وان يصل الى تأويل ما يتمناه ...

لقد عرف الآخرين وعرف ما ينشدون ... ولكنه ما عرف وجهه ... ولذلك فهو ما تمنى الا مرآة ...

كان يعرف أيضا أن مرآة مقامة ولا شك هناك فى بيت التجميل ... ولكنه كان يخاف أن يعجز عن التأويل ...

لقد حلم ككل رجل ... وعبد صورا جميلة ... عبت منذ الازل ... وتحطمت أنفاسه فوق الروابي ... وعرف الحيرة وعرف القلق ... أو ظن نفسه عرفها ... وصار الى الجمود أقرب ... كل مقدس قد تشوه فى نظره ... وكل ارتعاش صار عادة ...

لقد دخل منذ قليل مرقصا .. بل قل أتى اليه المرقص .. كان قرب الدار ... ولكنه استقبل المدعويين فيمن استقبلهم ثم تركهم يلهثون ودس رأسه بين كتب مغبرة ... لقد حاول ان لا تصل اليه هذه الانغام المجنونة ولكنه ما استطاع ... كانت قوية كل القوة ...

ما حاول أن لا تصل اليه .. حتى لا تؤثر فيه .. ولكنه حاول ذلك .. لانه يشعر بانقباض غير معهود ... بل قل هو انقباض قد عشنش فى أعماقه وتجاهله كثيرا الى أن كان يوم من أيام الأسبوع الماضى ... تفجر فيه ..

وخرج من المرقص ... واذا الصخب بالشارع ، واذا الحياة تحيا فى كل مكان ... أنوار المدينة متألثة ... والوجوه مبتسمة ... والارجل نشطة .. والقذود مائسة ... دور السنما مكتظة والحانات ...

والشارع يتبختر ...

وأخذ تذكرة من احدى دور السينما ...

- واحدة ...

- نعم ... واحدة فقط ...

وقالت له بائعة التذاكر : وصاحبتك الشقراء التي كنت تصحبها أين هي ؟

وما رد عليها . وخرج ورأسه عاليا ...

إنه حر ... الا من هذا الارتخاء ... وهذا الحيال الاصفر ...

وقبع بذلك المقهى ... واذا بعيني هذه الحسناء تنظران اليه باستمرار ...

وما عبي ... لانه يعلم أنهما تنظران ببلاهة ... ككل عيني أنثى ... ككل عيون صاحبات المعاطف الصفراء التي أغرم بها تلك السنة ...

هو لا يريد أن يرقص ... رقصا جنونيا ... انه يحس بأن زمن الحفة قد

مر ... نعم قد مر زمن اعتصار الاجسام ... وقد اعتصر ما اعتصر ... وقد مر زمن الاحلام ...

وما أتى بعد زمن الحساب ... والتفكير في المستقبل ... انما يشعر أنه

لا يمت بصلة الى هؤلاء الراقصين ... يهتزون ويعرقون ...

ثم هو لم يعد يفرق في العيون ... كما تريده أن يفعل هذه الحسناء

القاتنة ...

هو لم يعد يجري وراء المعاطف الصفراء .. وكل النساء لهن معاطف

صفراء ...

هو يبحث عن امرأة تترجم عن حيوية عينيه ...

هو لم يرد أن يرجع الذوق الى لسانه وقد شرب وأكل ودخن بل يريد أن

يعرف كيف امحي ذوق لسانه ...

وهل ذلك من الشاي أم من الدخان أم من الاكل ... أم من الحياة ...

**جلول عزونه**

## فقاعة النوادر

كان معجبا بقامته الفارعة تملأ المغطس .. تتجمع فقائيع الصابون ..  
تتبدد .. تتلاحق ..

الماء يكاد يغمره .. ماء دافئ يسري في كامل جسده .. الفقائيع تسعى  
فوق راحتيه .. فقاعة كبيرة تتوسطها جميعا .. فقاعة قزحية شفافة ..  
تتضخم .. تتضخم .. يطفح الماء يتعدى جوانب المغسل ..

نظرات نادر تتعلق بالفقاعة القزحية .. تحذب عليها ، برعاية و إعجاب ..  
تنزلق الفقاعة من كفيه تسعى على صفحة الماء .. تجول بجوانب المغسل ..

ابتسم نادر بارتياح .. تخيل نفسه يركب الفقاعة .. كجندى رصاصي  
على متن سفينة ورقية في رحلة مجهولة بين أحضان اليم ..

بريق الفقاعة يتلألأ .. وضيء فضاء غرفة الاستحمام .. نشوة غريبة  
تهز نادر ..

★ ★ ★

قال أبو نادر يوما :

- ابني نادر طفل طلعة .. منذ سنواته الاولى كان كل شيء فيه يبشر  
بالنبوغ .. سأجعل من نادر عالما يرسخ اسمه في ذاكرة العلم .. في ذاكرة  
التاريخ .

وزكت أم نادر :

- نعم لقد ورث نادر هذا الذكاء عن أبيه .. فذلك الغصن من تلك  
الشجرة .

قال مدرس نادر :

– أشعر بارتياح وسعادة لما يحل نادر بسهولة متناهية كل المسائل الرياضية التي لا يستوعبها بقية التلاميذ إلا بشق الأنفس .

قال رفاق نادر :

– نادر لا يعجز أبدا .. كم جذب آذاننا نحن فصيلة «التلاميذ الأحمر» .. فكل واحد منا يتمنى أن يصبح نادرا .

قالت أم نادر :

– أعداد نادر الممتازة تثير عيرة زملائه وحسدهم .

★ ★ ★

اثنا عشر ربيعا .. وهدايا عيد الميلاد .. لعب فكرية .. آلات حاسبة .. أجهزة « كمبيوتر » مصغرة .. موسوعات علمية .. مجلدات كثيرة ..

قال أبو نادر :

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

– تفوق نادر يحتاج الى تعهد مستمر .. نادر هو مشروع أبي نادر في الحياة ...

قالت إحدى الجارات مذهولة :

– إن أصابع نادر تتلاعب بالحاسوب كأنامل ساحر تحول التبر ترابا . يا لتعاستي بآبن «ترصص» دماغه .

كان نادر محور الحديث وموضوع السمر . في اجتماعات الاسرة ولقاءاتها بالاهل والاصدقاء .. غرفة نادر تتحول الى مخبر علمي صغير ..

★ ★ ★

عدسة الشاشة الصغيرة تلاحق خطوات نادر .. في الشارع .. في الفصل .. في ساحة المدرسة .. في البيت في غرفته بين أجهزته ومجلداته .. ردد المذيع في إعجاب :



– تعيشون لحظات ممتعة ، مع الطفل « المعجزة » .. نادر .. نادر بحق ..  
لا يعجز .. لا يخطئ .. نادر قطب من أقطاب المعرفة .. والمستقبل ..

يبتسم نادر فى ارتياح :

« لا شئ يضاهى لذة التفوق يا نادر .. أن ترتفع .. ترتفع .. تطول  
قامتك .. تشمخ برأسك فلا ترى أحدا .. »

★ ★ ★

وتطول قامة نادر بسرعة مذهلة .. كما يحدث فى الحرافات والاساطير  
العجيبة .

★ ★ ★

يتمطى فى المغطس .. يلاحق الفقاعة القزحية .. تتضخم الفقاعة .. تنتشر  
فوق الماء الدافئ خيمة مقببة شفافة .. تعلوها مرايا بأشكال هندسية  
مختلفة .. مربعات ، ودوائر ، ومثلثات ، ومستطيلات .. ومكعبات ..  
ومعادلات .. وأرقام وحروف .. تتزاحم .. تعكس صورة نادر .. فى أوضاع  
وأشكال مختلفة .. القبة الشفافة تزاحم فضاء الحمام .

قال نادر :

– لن أكون جندي رصاص ، يقنع بسفينة ورقية بل رائد فضاء يعلو  
سفينة قزحية مقببة ..

★ ★ ★

قال نادر لأبيه يوما :

– إنني لم أعد أكتشف جديدا فى المدرسة يا أبى البرامج بسيطة ،  
ورتيبة ومملة ..

فكر أبو نادر فى المسألة بجد .. وقال بنبرة ثابتة :

- لا بد من التفكير فى بعث معاهد « فوق نموذجية » وبرامج خاصة بالمتمازين ..

قالت أم نادر بضيق ظاهر :

- إذن ما العمل ؟ نادر لا يجد ما يشفى غليله فى المدرسة .. يجب أن نتدبر الامر :

- نعلم لا بد من حل ..

- ينبغي أن نرسله الى بلاد أجنبية .. فطفلنا لم يخلق لمدارسنا المحلية المتواضعة !

★ ★ ★

تنقبض أسارير نادر .. علامات الهم والقنوط تتوزع على الاشكال الهندسية .. تنزلق الفقاعة الضخمة تتجذب مع سيل الماء الدافئ .. يتفرق على أرضية الحمام ..

ينتفض نادر فجأة .. ينتصب بقامته الفارعة .. تنزاح الفقاعة .. الماء يتسرب الى بقية غرف المنزل .. يصفق الباب بعصبية ..

تهرع أم نادر فزعة ..

- نادر .. ماذا حصل ؟

★ ★ ★

قال المدرس وقد اكفهر وجهه :

- نادر .. سبعة .. عشر من عشرين !

وجم التلاميذ .. تبادلوا نظرات الاستغراب .. ابتسامات خفيفة علت بعض الوجوه ..

قال المدرس :

- يبدو أنك متعب يا نادر ؟

سحب نادر ورقته ولم يتكلم .

★ ★ ★

زحفت الفقاعة القزحية على أرضية الحمام تقلصت .. تسطحت .. تسللت تحت الباب المغلق .. يجفف نادر جسمه بعصبية .. يرتدى ملابسه على عجل ..

أم نادر تدفع الباب في حذر ..

- نادر يا حبيبي .. أنت محتاج للراحة ؟

★ ★ ★

قال مدرس الرياضيات في استياء ظاهر ..

- نادر .. ماذا حصل .. ثمانية .. من عشرين !

قال أبو نادر :  
ARCHIVE

- لا بد من حل عاجل .. ينبغي أن أعتزل لنادر على معهد على مقاسه ..

ينبغي أن أرسله الى الخارج !

قالت أم نادر في حيرة :

- الحل الاوكد .. هو عرض نادر على طبيب .. ابني مرهق .. مرهق !

قال الأب :

- لا خوف .. أزمة عابرة .. وسوف تمر بسلام .

★ ★ ★

سوى ثيابه .. ربط خيوط حذائه الرياضى .. تمدد على فراشه .

الفقاعة القزحية تتسلل الى غرفة نادر .. تتسع عيون الفقاعة .. تحوى نادرا ..

ضرب بمؤخرة حذائه الرياضى حافة سريره ...

حتى الفراش .. لم يعد على مقاسي ..

نهض فجأة . كدس كتبه ودفاتره ، وأجهزته المتنوعة . جلس القرفصاء ..  
تأملها برهة .. « فقاعة النوادر » . تعلو كدس الاشياء .. استقام واقفا ..  
أضرم فيها عود ثقاب ..

جذب باب الغرفة وتسلسل في الظلام .. توقف في منعطف الحي .. ألقى  
نظرة أخيرة على البيت .. تبددت الفقاعة القزحية . تداخلت الاشكال  
الهندسية .. استوت علامة استفهام في العتمة :

- ماذا أريد ؟

توقف برهة وسط الظلام . عيناه تلتهمان الطريق .. تتضخم الفقاعة ..  
مركبة قزحية بأجنحة سحرية ..

يتقدم « نادر » .. يتقدم .. يرتقي المركبة القزحية في خيلاء ...

- سأفتض لغز المعرفة .. خارج جدران الاسمنت ومقاعد الخشب ..

ARCHIVE

http://Archivebeta.Sakhrit.com

ظهرت صحف الغد تحمل إعلاما بارزا ..

« نادر » الطفل المعجزة .. يضرم النار في منزل أبويه ويختفى .. من

يصادف هذا الطفل ، أو يعرف مكانه يعلم أقرب مركز للشرطة ..

زهرة الجلاصي



## الخطاب الروائي بين الواقع والايديولوجيا نحو مقارنة اجتماعية جديدة

لقد أردت أن تكون هذه المحاولة خاصة بالخطاب الروائي الحديث دون الحديث عن الاجناس الادبية الاخرى لاسباب عديدة منها :

I - ان الرواية تعتبر من الاجناس الادبية المستحدثة في الادب العربي ولذلك من الطبيعي ان تتعدد وجوه اشكالياتها وتتعدد أيضا ، فتجربة روائية تقل زمنيا عن القرن غير قادرة موضوعيا على تجاوز كل الاشكاليات المطروحة.

2 - إن ارتباط الرواية العربية شكليا بانجازات الرواية الاوروبية لا يسمح تاريخيا وفي الوقت الراهن بظهور نظرية روائية عربية . وهذا من شأنه أن يعقد إشكالية الرواية العربية في علاقتها بالمرجع الاجتماعي .

3 - ومع ذلك فان الرواية العربية بحكم طبيعتها الفنية كجنس أدبي حكاوي تبدو لنا أنها أقدر الاجناس الادبية على تمثيل مظاهر الواقع الاجتماعي وبالتالي على تعميق إشكالية علاقتها به .

ان مصطلح «خطاب» الذي تبناه هذا الملتقى (I) يبطن مفهوما مشروطا بطرفين رئيسيين ، هما الباث وهو الروائي والمتقبل وهو الناقد الادبي والقارئ العادي والمؤلف الجديد أيضا، الطرفان محكومان بدورهما بشروط سوسيو ثقافية . واذا كان موضوعنا متعلقا بالخطاب الروائي بين الواقع والايديولوجيا فاننا سنسعى الى تحديد طبيعة هذا الخطاب من خلال هذين الطرفين المتحاورين اللذين يتجاذبان .

ونحن نعتقد أن المسألة من بعض وجوها مسألة منهجية في الحديث عن المثلث : ( خطاب روائي - مرجع - ايديولوجيا فلئن سعت المناهج الشكلائية

(I) تم الملتقى في فابس 26 - 18 جويلية 1985 .

باختلاف اتجاهاتها منذ الثلث الاول من هذا القرن الى عزل الخطاب الادبي عن المرجع واعتباره مجرد قول مستقل خلق لذاته ويفهم بذاته فان المناهج الاجتماعية - وهى أيضا متعددة الاتجاهات والمسارب - سعت منذ زمن طويل الى تأكيد العلاقات التى يجب أن تكون موجودة بين الخطاب الادبي والمرجع ، إلا أن الخلاف بين الاتجاهات داخل المنهج الواحد يطرح الاشكالية الحادة المتعلقة بطبيعة ونوعية هذه العلاقة . فالادب ينبع من المجتمع ، تلك حقيقة نقبلها . لكن كيف يتعامل الادب مع المجتمع فذاك محل جدال وخلاف .

لقد آمنت النظرية الوضعية la Théorie Posiviste بالحتمية الرابطة بين الادب والمرجع اذ ربطت كل تغيير على مستوى المفاهيم الجمالية بالتغير الطارىء على مستوى القيم الاجتماعية . ولقد سعت المناهج الماركسية الى تجاوز هذا المفهوم للحتمية العلمية عن مفهوم الانعكاس وهو مفهوم مرتبط بالعلاقة.

إلا أننا سنتجاوز هذه النظريات المعروفة نحو مقاربة اجتماعية جديدة للآثر الادبي وبالتالي للآثر الروائى العربى . ومن باب الامانة العلمية أن نحيل على النظرية التى تقف وراء منهجنا فى معالجة المسألة . ذلك اننا نعتبر ان نظرية التقبل ، وهى نظرية المدرسة الالمانية أو بالتحديد « مدرسة » Koustavz ورائدها الكبير ( يوس ) Jauss Hans Robert (2) تعد اضافة منهجية جديدة تفتح زاوية جديدة للمقاربة الاجتماعية .

إن الآثر الادبي الجديد لا يتقبل ويقوم بتعارضه مع خلفية أشكال فنية أخرى فقط ولكن بتعارضه مع خلفية تجربة الحياة اليومية ، ولذلك فكل عمل روائى يتضمن جوابا عن سؤال . وكل قارئ سواء كان قارئاً عادياً ناقداً أو مؤلفاً جديداً ينتظر جواباً من هذا العمل وهو بطريقة أو بأخرى يريد أن يعثر على هذا الجواب .

ولكن أهم ما فى هذه النظرية هو أن صورة المتقبل وصورة التقبل للآثر الروائى نجدها مرسومة فى أغلب الحالات فى الآثر نفسه من خلال علاقته بالآثار السابقة التى تتخذ كمثال أو سنة .

(2) راجع كتاب المعروف .

حينئذ وانطلاقاً من هذه الفكرة يمكن أن نقول : إن المتقبل ذو دور أساسي في توجيه الخطاب الروائي وقد أهملته مختلف الاتجاهات النقدية . فالمقاربة الاجتماعية للخطاب الروائي يمكن إذن أن تكون من خلال تحليل هذا الدور خصوصاً :

## 1 - دور المتقبل في توجيه الخطاب الروائي :

### أ - دور النقاد :

إن القراءة النقدية تعنى التأويل وهو عندنا « ملء المجال الأبيض » في العمل الروائي فالآراء الصادرة عن التأويل هي في أغلب الأحيان ليست موجودة في النص بقدر وجودها في ذهن القارئ وخاصة إذا كان الأمر متعلقاً بتلك الآثار الفنية المتكاملة . ولكن التأويل لا يستطع دائماً أن يتجرد من خلفية الايديولوجية ، وهذا ما سنحاول تحليله معتمدين على ملتقى حول الرواية العربية انعقد بالمغرب الأقصى باعتباره « وضعياً نموذجية للمتقبل » ( 1980 ) .

يؤكد محمد برادة في دراسته الجادة لثلاثة نماذج روائية محددا وظيفة الرواية أن الخطاب الروائي هو خطاب ايديولوجي تبشيري ، فهو يقول : « إن تميز الرواية كعمل له استقلاليته الذاتية كشكل ينسب المضامين ويشخصها في بنيات ورؤيات متصارعة هو الذي يتيح تصوير مرحلة الانسان العربي باتجاه الكشف عن الوعي القائم وعن المعوقات الحائلة دون نهوض وعي ممكن عند الطبقات الكادحة والمنتجة ليكون التغيير عميقاً وشاملاً يحرر الانسان العربي من الاستغلال والكبت والحرمان ويعتقه من عبادة الشخصيات ووطأة المحرمات (3) وقد تبدو هذه الوظيفة عند بعض النقاد الآخرين ، رهينة الظروف الاجتماعية السياسية الخاصة بالمجتمع العربي ومندرجة ضمن الوظيفة العامة للادب العربي المعاصر وهو « في بلادنا مواجهة حامية صاخبة ، مواجهة مع الذات ومع المجتمع ومع السلطة » . في حين أن الادباء « محاصرون يمشون على الحبال » (4) فهي إذن مساهمة في هذا الفعل الخلاق في وجه محاولات

(3) راجع مجلة الآداب 1312 - 1980 - ص 45 .

(4) عبد النبي حجازي - انماط رؤية العالم في رواية السبعينات - مجلة الآداب 1312 - 1980 .



الاجهاض والقهر والعسف التاريخي « وحينئذ يظل التصنيف متأرجحاً بين التصنيف وفق المدارس الادبية المعروفة في الغرب (5) والتصنيف الايديولوجي ، الذي يرى مثلاً أن رؤية العالم في رواية السبعينات تنحصر - على وجه الخصوص - في ثلاثة اتجاهات هي :

- الاتجاه الثوري ذو الرؤيا العلمية .
- الاتجاه المحافظ ذو الرؤيا المثالية المطلقة .
- الاتجاه الوجودي (6) .

ثم كيف نفهم كذلك هذه المؤلفات التي تحمل عناوين على نحو « الادب والايديولوجيا في سورية ( 1967 - 1973 ) لبو علي ياسين سليمان (7) أو « الرواية العربية في رحلة العذاب » (8) لغالي شكري إن لم ترصد توجيهها الايديولوجي للرواية العربية المعاصرة .

إن الناقد العربي يصير على المفهوم الوظائف للرواية ، لكن الوظيفة في حد ذاتها تختلف من ناقد الى آخر حسب الانتماءات العقائدية والتصورات السياسية للحياة والمجتمع ، وهي بذلك تؤثر تأثيراً في عملية التفسير والتأويل . فرواية « نجمة أغسطس » على سبيل المثال وهي لصنع الله ابراهيم ظلت محل جدل يبرهن الخلفية الايديولوجية بين محمود أمين العالم وبطرس الحلاق . وقد تركز الخلاف حول دلالة «الالة» في هذه الرواية ودلالة « الوصف المسطح » والتشويؤ فيها واستخدام بعض تقنيات ما يعرف بالرواية الجديدة .

(5) انظر مقالنا في مجلة قصص - عدد 65 - ص 91 - في مشكلية الرواية العربية .

(6) عبد النبي حجازي - انماط رؤية العالم في رواية السبعينات - مجلة الآداب 1312 - 1980 - ص 52 .

(7) دار ابن خلدون للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - ط 1 - 1974 .

(8) دار الكتب - القاهرة - 1971 .



فلئن مال الخلاق الى تفسير الرواية تفسيراً فنياً ودلالياً فرأى في الآلة قوام السلطة فتصبح الدلالة اذن دلالة حضارية فان محمود أمين العالم يصر على أن الرواية «تعبّر عن رؤية أو أزمة هذا المثقف العربي ، السامان ، المرهق ، اليائس ، الراض ولكنه كذلك الراغب عن الفعل» وهكذا يصبح الخلاف بين الناقدين حول الرواية وتأويلها خلافاً ايديولوجياً سياسياً .

لقد حدد محمود أمين العالم خلفية «الخلاق» الايديولوجية على النحو الآتي :

♦ ان أزمة الواقع العربي هي أزمة حداثة ، أزمة التقنية المقحمة علينا من عالم مغاير .

♦ أزمة شكل حكم أقحم إقحاماً في مجتمع اعتاد على كل شيء سواه .

♦ أزمة أعراف وقوانين جديدة من عالم مغاير ، أقحمت لتحل محل العرف القديم « الذي كان ينظم علائق المجتمع القديم ويعكس تصوراته بنفسه ومثله وبأساطيره » الذي تغذي ديناميكيته الخاصة فهي اذن أزمة «الحكم والتصنيع» .

– الاتحاد السوفياتي هو مجتمع الآلة .  
<http://Archive.org/details/la3chrit>

بيد أن محمود أمين العالم يرى أن الازمة هي ازمة اجتماعية سياسية طبقية ترتبط أساساً بعلاقات الانتاج فهو يقول : «ليست الازمة في مجتمعنا العربي ناجمة عن التصنيع المقحم وإنما هي أزمة حكم – أو بتعبير أدق – وضع طبقى سائد ، ولهذا فالحكم ليس مقحماً من الخارج اقحاماً مطلقاً بل هو ثمرة أوضاع وعلاقات قوى داخلية اجتماعيا » ثم ينبري مدافعاً عن الاتحاد انسوفياتي قائلاً : « من التعسف أن نضع تجربة الاتحاد السوفياتي على نفس مستوى الانظمة الغربية الرأسمالية بحجة استخدام تكنولوجيا واحدة على حد ما يقول كتاب اليمين الاوروبي وبعض كتاب اليسار الفوضوي من أمثال ماركيز وغيره » (10) .

(9) الاتجاه الوجودي (5) ، عبد النبي حجازي – أنماط رؤية العالم في رواية

السبعينات – مجلة الآداب 312 (1980) ص 52

(10) راجع هذا الموضوع – مجلة الآداب 2 – 3 – 1980 – ص 15 .

إن هذا المثال يؤكد أن المتقبل الناقد يتعامل مع النص الروائي تعاملًا إيديولوجيًا وسياسيًا في غالب الأحيان وجودة العمل الروائي قد ترتبط أحيانًا كثيرة بدلالته الإيديولوجية وبذلك نفهم مثلاً اهتمام النقاد بالروائيين الذين يقترحون مضمونًا إيديولوجيًا واضحًا ، فروائي كحنامينا تنهافت المجلات الأدبية على تحليل رواياته وعلى تقديمه للقراء بصفة غريبة .

إلا أننا نلاحظ أن التقبل الإيديولوجي يحاول أن يجد مبرراته بالاستناد إلى المرجع ، فالتأويل الإيديولوجي الذي ذهب محمود أمين العالم في تحليله لثلاث روايات مصرية ( نجمة اغسطس لصنع الله إبراهيم - وقائع حارة الزعفراني لجمال الدين الغيطاني - يحدث في مصر الآن ليوسف القعيد ) يستند إلى علاقة هذه الروايات بالمجتمع فهو يؤكد هذه الفكرة قائلاً : « بالرغم من الخصوصية الأدبية لهذه الروايات الثلاث فإنها مغلوطة لهذا الواقع التاريخي المحدد أي ثمرة له وتعبير عنه ولا نفهم أبعادها فهمًا حقيقيًا عميقًا يغير استحضاره دون أن يجعل هذا منها استنساخًا لهذا الواقع » .

وهكذا رغم التوجيه الإيديولوجي فإن مسألة المرجع مسألة قائمة في الخطاب الروائي النقدي فمستوى الفن للفن والجمال للجمال على حد عبارة مبارك ربيع إذا صح أن يوجد فعلًا مستقلًا عن وظيفته لا يخالف قوانين الإشراف والخطاب النقدي الروائي لم يستطع بعد الخروج من الإشكالية العويصة الكامنة في مفهوم الإشراف في حد ذاته أي في العلاقة القائمة بين المتخيل والواقع .

فلئن يؤكد بعض النقاد على أن المتخيل هو في آن واحد احتفاظ بالواقع وانتهاء لحالته التي كان عليها قبل التجاوز بتغيير أو تطوير أو تشكيل جديد وبوجه خاص بخلق تركيبات جديدة فأى واقع تعنى ؟

فهل هو واقع سوسيولوجي أم واقع إيديولوجي ؟

إننا نعتقد أن الخطاب النقدي الروائي يريد أن يتمثل الواقع الإيديولوجي أساسًا لأسباب سياسية تريد توظيف الرواية لفائدتها : فالبحث عن بطل قومي أو عن بطل ماركسي هو الشغل الشاغل لدى بعض النقاد (II) .

(II) يمكن أن نقرأ على سبيل المثال لفريد النقاش في مجلة الآداب 131/2 - 1880 - ص 33 ما يلي : انشغلنا طويلاً ... إلى مفهوم أولينا للاجابة .

وقد يكون هذا الامر مرتبطا بالظروف التاريخية التى عليها المجتمع العربى المعاصر ولكنه يبدو أكثر ارتباطا بمسألة المنهج .

ان الخطاب النقدي ما زال فى أحيان كثيرة مصرا على اعتبار المناهج المتبنية لمفهوم الانعكاس ، فهو « يولى الاسبقية للدلالة على التحليل الالسنى لافتراضات وجود دلالة اجتماعية وايدولوجية فى كل انتاج أدبى مهما كانت خصوصية الشكلية والمضمونية » (I2) وهو رغم رفضه للشكلانية يظل سعيه هذا دون الطموحات التى يروم بلوغها وذلك لغياب علم اجتماع عربى قادر على تحليل الاوضاع الاجتماعية العربية .

فما هى البنى الاجتماعية التى تتحكم فى المجتمع العربى المعاصر وما هى أنماط الانتاج فيها وما هى الطبقات الاجتماعية المتصارعة فيها ؟

كلها أسئلة لا أعتقد أن علم الاجتماع العربى قادر حاليا على تقديم الاجابات الحاسمة عنها ولذلك فان ناقد الرواية يجد نفسه بين أمرين :

أ - إما أن يتبنى بعض الاطروحات الايدولوجية فى تحليل المجتمع التى تروجها بعض الاحزاب الرسمية أو غير الرسمية .

ب - أو الاستناد الى علم الاجتماع العربى فى تحليله للمجتمع العربى والذى يريد أن يظهر بمظهر العلم العالمى ومحاولة مطابقة هذا التحليل على واقع المجتمع العربى بما فى ذلك من اسقاط ، وعندئذ كيف نستطيع تطبيق مفهوم البنيوية العكوييتية « لقدمان كما يدعو الى ذلك محمد برادة فى تحليله لثلاث روايات عربية متحدثا عن الاستقلالية الذاتية للرواية وهى التى تستدعى الابتعاد عن حصر الجهد النقدي فى تأكيد تماثل النص بالواقع لكنها تبيح فى الآن نفسه البحث عن علاقة الرواية برؤية ما للعالم قائمة فى البنى السوسيولوجية على اعتبار ان الرواية « هى الشكل النوعى للمحظة تاريخية يسائل النظام خلالها نفسه ولكنه يستمر بعد سائدا » (I3) ؟

و خلاصة القول ان الخطاب النقدي الروائى يظل متارجحا بين التوجه الايدولوجى فى فهم الواقع وتصوره وبين المنهج الاجتماعى فى تحليل الادب

(I2) مجلة الآداب 2 - 3 - 1980 - ص 45 .

(I3) راجع مجلة الآداب I3I2 - 1980 - ص 45 .



عند كل مقارنة اجتماعية . وعندئذ فان نظرية التقبل كمنهج فى تحليل الادب واعتبار الابداع عملية مشتركة بين المبدع والمتقبل تتجاوز هذا التأرجح وعند ذلك نفهم التقبل النقدى ونحسم فى الاشكالية القائمة بين الخلفية الايدولوجية أو المتمثلة فى البحث عن الجواب اللائق بسؤال اللحظة الراهنة والحلفية الثقافية المناسبة لها .

بيد أن المتقبل ليس الباحث فى الادب واللغة فقط بل هو أيضا أى رجل عادي فمسألة التقبل كطرح اذن ومن جانب آخر على مستوى القارئ العادي وقد لاحظنا أن نظرية التقبل لا تزال الى حد الآن لا تحظى بعناية فائقة فى الدراسات العربية المعاصرة التى ترى فى الادب مجرد نتاج اجتماعى لا غير واننا نعتقد اننا لا نستطيع الوصول الى مقارنة اجتماعية للعمل الروائى دون اعتبار دور القارئ فى عملية الابداع على أساس انه عنصر فاعل : فالى أى مدى يحدد القارئ العربى الانتاج الروائى ؟ وهل تجيب الرواية العربية عن نوع محدد من مشاغل القارئ العربى مسألتان جديرتان بالاهتمام ؟

لقد اجرينا استجوابا متواضعا يتعلق بتقبل روايات حنا مينه على مجموعة من القراء يبلغ عددهم الخمسين جايم من طلبة كلية الآداب ومعهد بورقيبة للغات الحية وقد توصلنا الى النتائج التالية :

### الشخصيات المحبذة :

#### أ - الرجال :

26	الياطر	زكريا المرسلني
15	بقايا صور	أسير و لعور
2	الشمس فى يوم غائم	الفتى
2	الشراع والعاصفة	الطروس
1	المرصد	النقيب م
1	بقايا صور	الطفل



## ب - النساء :

الام	I2	بقايا صور
شكيبه	IO	الياطر
زنوبة	4	بقايا صور
رباب	2	المرصد
امراة القبو	I	الشمس فى يوم غائم

سبب اختيار الشخصية : هى أسباب عديدة نلخصها فيما يلى :

الاصرار على المشاركة فى المجهود الحربى - معالجة قضايا الانسان المعاصر - الخروج على ما هو سائد - البحث عن هوية الانسان العربى - طرح مسألة الوعي الاجتماعى والسياسى - طرح قضية الحركة النقابية - الوعي الانسانى - الوعي الاشتراكى - كشف حقيقة الواقع العربى - الشجاعة والبطولة - مكافحة الظلم والاستعمار - البذل والتضحية - التعبير عن المشاكل بشكل فنى - كشف الواقع الاجتماعى وكيفية الخروج منه - المرأة المناضلة والمضطهدة - الازمة الرأسمالية وانطلاق الحركة النقابية - نضال الطبقات الاجتماعية الفقيرة .

## مستوى القراءة الذى يثير اهتمام المتقبل :

المستوى الاجتماعى	50/3I
المستوى السياسى	50/23
المستوى الفنى	50/2I
المستوى الفلسفى والانسانى	50/I2
المستوى الدينى	50/ I

إن هذه النتائج تجعلنا نقبل الاستنتاجات الآتية :

♦ ان الشخصيات الروائية المفضلة هى الشخصيات المتجاوزة عن طريق الفعل والعمل الايجابى للواقع أى للمرجع .

♦ ان مستويات القراءة المفضلة هي ذات البعد الاجتماعى والسياسى بالدرجة الاولى . وهذا يعني أن المرجع بالنسبة للمتقبل هو مرجع اجتماعى وسياسى

♦ ان القارئ العربى يريد أن يوظف الرواية فى خدمة قضايا الانسان العربى المعاصر ، ومعنى ذلك أن تجيب الرواية عن تساؤلات الشخصية حول المرجع بما تتضمنه هذه التساؤلات من تقويم للحالة الراهنة ورغبة تجاوزها عن طريق التصورات الفكرية أى الايديولوجية .

## (2) الخطاب الروائى بين الواقع والايديولوجيات :

إننا يمكن أن نقول - بعد هذا التحليل اذن - إن المرجع بالنسبة للخطاب الروائى هو القارئ . ذلك أن المجتمع ليس حالة ثابتة وقارة ، بل هو حركة متفاعلة . وهذه الحركة المتفاعلة ليس لها معنى بالنسبة للخطاب الروائى والخطاب الادبى عموما الا من خلال القارئ وتساؤلاته المنطلقة من الحالة الراهنة والمتجاوزة لها عن طريق التصورات الفكرية ، فان يقال ان الاديب يكتب لنفسه فتلك خرافة لا نقبلها .

إن كل كاتب إنما يكتب عن وعي أو غير وعي ، وفى ذهنه صورة قارئ ينتظر منه جوابا عن سؤال ، وعلى مستوى السؤال والجواب يصعب الفصل بين المرجع والايديولوجيا لان الابداع هو رؤيا فنية معقدة .

إننا اليوم كمبدعين أصبحنا نتحدث عن مفهوم الانعكاس بشئ من الحذر والحرص كثير ، فهل تعكس روايتنا العربية الواقع ؟

♦ إن المرجع هو الواقع المعيش الذى تنطلق منه الرواية مهما كانت ثم يأتى العالم الخيالى الذى تبنيه الرواية .

♦ إن كثيرا من الروائيين فى بلادنا يتوهمون أنهم يعكسون الواقع عندما يلجأون الى المطابقة الآلية بين المعيش والتمثيل . فقد سعت مثلا بعض الروايات عندنا الى ان تكون روايات واقعية وصفية او تسجيلية تطابق المرجع فى مستويات عديدة وخاصة المستوى الاجتماعى والمستوى اللغوى وتخيل فى أحيان كثيرة الى احداث الواقع ( حادثة 9 أفريل - أحداث التعاضد - أحداث 26 جانفى ) . ولكنهم فى حقيقة الامر لا يعكسون الواقع لانهم عندما يكتبون هم حتما فى نقطة زمنية متقدمة والفصل الزمنى مهما قصر يجعلهم يتحدثون عن المرجع بصورة جديدة مرتبطة أساسا بتفاعلهم الحياتى

والايدولوجى مع اللحظة الراهنة . فحديثهم عن الماضى واحداث الماضى هو اجابة عن الحاضر . يقول ميشال بوتور : « إن الفرق بين حوادث الرواية وحوادث الحياة ليس فى اننا نستطيع التثبت من صحة هذه بينما لا نستطيع الوصول الى تلك الا من خلال النص الذى يظهرها فحسب بل هى الى ذلك ( أى حوادث الرواية ) ولنستعمل تعبيراً معروفاً - اكثر « تشويقاً » من الحوادث فحسب هى الى ذلك ( أى - الحقيقة ) اما سبب بروز هذه القصص المختلفة فيعود الى انها **تنطبق على حاجة** وتقوم بعمل والاشخاص الوهميون يملأون فراغاً فى الحقيقة ويوضحونها لنا (I4) .

فالعلاقة اذن بالمرجع هى علاقة تتجاوز ايدولوجى ونعتقد أن أغلب الاعمال الروائية المتكاملة فهمت العلاقة بالمرجع هذا الفهم ، ويكفى أن نذكر على سبيل المثال من أعمالنا الروائية المغربية « حدث أبو هريرة قال » لمحمود المسعدى ، أو « قبور فى الماء » و « الافعى والبحر » لمحمد زفزاف .

ان التجاوز فى الابداع الروائى عملية جد معقدة اذ تتداخل مستويات عديدة وتتفاعل وهى مستويات الوصف والممكن والمحتمل والتحليل والتركيب والرصد والتنبؤ والموقف ، ولذلك فالروائى العربى وخاصة فى الوقت الراهن وبحكم تفاعله مع عصره أى مع مرجعه يرتبط وعيه بتثقيف بيئته ولذلك لا يمكن أن يقف من المرجع موقف الحياد . فهل تخلو رواية عربية متكاملة من موقف ؟

ولكنه موقف وأى موقف ؟

### التقبل الايدولوجى :

إن وضوح الموقف مرتبط أساساً بوضوح الرؤيا للعالم ، ففي الرواية التسجيلية أو الواقعية التقليدية لا يبدو الموقف واضحاً وإذا استثنينا بعض روايات الواقعية الاشتراكية التى تتبنى الرؤيا الماركسية للعالم الروائى وبالتالي تتبنى الماركسية كاتجاه فني قليلة ( الارض للشرقاوى ، بعض روايات حنامينة ) فان الرواية العربية الحديثة وهى الرواية ذات البطل الاشكالى ( عبد الرحمان منيف ، عبد الرحمان مجيد الربيعى وبعض روايات

(I4) ميشال بوتور - بحوث فى الرواية الجديدة - تعريب : فريد انطونيوس - عديدات - ص 8 - 1971 .



حنامية أيضا - روايات نجيب محفوظ الاخيرة ... ) تطرح على الرواية العربية قضية التوجه الايديولوجي .  
فلقد لاحظنا في دراستنا عن «شخص المثقف في الرواية العربية المعاصرة» ان اشكالية الروائي العربي المعاصر مهما اختلفت منطلقاته هي اشكالية واحدة وهي اشكالية الحرية .

وذلك ما جعلنا نعتقد ان الخطاب الروائي العربي ليس الى حد الآن خطابا طبقيًا ، فاذا كانت اللغة العربية باعتبارها أداة تواصل وتعبير جعلت الروائي يخاطب الانسان العربي ( الشرق المتوسط لعبد الرحمان منيف ) متجاوزا بذلك الحدود الاقليمية ، فان الوظيفة الفعلية للادب وبالتالي للرواية داخل المجتمعات العربية « لا تسمح بأن تفكر في تعبیر الاتجاهات الادبية عن قوى اجتماعية ايديولوجية متميزة داخل مجال الصراع الاجتماعي » (15) فهل هذا يعني أن المرجع العربي هو مرجع ايديولوجي عام اتجاهاته الطبقية غير واضحة ؟

قد يكون ، ولعل هذا يعود الى طبيعة الانظمة الاجتماعية القائمة والى الفئات الاجتماعية التي ساهمت في تغيير المجتمع العربي سياسيا منذ بداية هذا القرن . ولذلك فان المتقبل الروائي يظل عاما فهو المثقف العربي ( القارئ ) والمستوى الايديولوجي في الخطاب الروائي يظل طموحات فردية لا غير .

### المثاقفة :

ان الاشكالية الحقيقية المطروحة على الرواية العربية ليست هي اشكالية الواقع الايديولوجي بقدر ما هي اشكالية المرجع والمثاقفة ( نعطي للمثاقفة مفهوما حضاريا أكثر ما نعطيه مفهوما ايديولوجيا فنحن قد نتفق جميعا على أن الرواية الاوروبية عبر تطورها التاريخي ومذاهبها الفنية المختلفة تعد مرجعا أساسيا بالنسبة للروائي العربي المعاصر وقد ظلم بعض المستشرقين الخطاب الروائي المعاصر عندما اعتبروه من الغرب اشكالا فنية ، بينة واهدافا اجتماعية (16) ففهمت المثاقفة على أساس أنها تقليد يمس بالمرجع ( الواقع ) العربي في علاقته بالرواية ، ولعله من الغريب أن يذهب بعض النقاد العرب هذا المذهب (17) .

(15) محمد برادة - الرؤيا للعالم في 3 نماذج روائية - مجلة الآداب - 2 - 3 - 1980 - ص 54 .



إن أثر الرواية الروسية والفرنسية فى يحيى حقي ونجيب محفوظ مثلا لا يخفى ، وقد أبرزه النقاد لكن الاشكالية فى هذا المستوى تطرح عند بعضهم على هذا الشكل : الى اى حد نعتبر اشكالنا الروائية انتاج البنى الاجتماعية فى الواقع العربى ؟.

لكننا نعتقد ان هذه الاشكالية تجسم أزمة منهج .

فمن الصعب ان نجيب عن هذا السؤال ، فبقطع النظر عن صحة نظرية الانعكاس وسلامة المناهج الاجتماعية التقليدية او الماركسية ، نجد انفسنا امام افتراضين فى تأويل اشكالنا الفنية حاليا .

♦ اما الاستناد الى المناقفة واعتبار الشكل الفني مجرد تطبيق جيد أو ردي، لاشكال سائدة فى مراحل تاريخية متفاوتة عند الغرب على أساس ان المرجع لم يستطع بعد أن يستوعب هذا الجنس الادبى الجديد وبالتالي غير مهياً حالياً لافراز أشكاله الفنية .

♦ إن الاقناع بأن تجربة قرابة القرن فى فن الرواية لا بد أن تكون إفرازا للمرجع وأن النقد الاجتماعى عندنا غير قادر حالياً على تحليل هذه الصلة الوثيقة .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

هذه إذن بعض الملاحظات أوردتها متعلقة بالخطاب الروائى الحديث ولعل الفكرة الرئيسية التى ألححت عليها هى ضرورة تجديد نظرتنا للمقاربة الاجتماعية للخطاب الروائى على أساس تركيز العلاقة الجدلية بين الاثر والمتقبل ، فالقارئ ليس مجرد وعاء يصب فيه الكاتب أفكاره ، وانما هو الذى يجسم فعلا الحضور الاجتماعى وبعده الايديولوجى . فذاك معنى الخطاب الذى نفهمه .

### محمد الباردي

(16) انظر الادب التجريبي - عز الدين المدنى - الشركة التونسية للتوزيع 1972 .

(17) يقول عز الدين المدنى « نحن متأثرون باعلام القصة والرواية فى الغرب فهم أساتذتنا ونحن تلامذتهم فى هذا المجال الفني الحديث ولا نكران لذلك » . انظر الادب التجريبي - ص 51 .

سيد عبد العزيز نجم

## حوار من طرف واحد

... كمن ألقى به فجأة بين الآخرين .

يشعر وكأنه عينان تنظران ولا تريان ، قلب ينبض ولا حيلة فيه ، أطراف تقوده ولا يقودها ، ومعدة تلتهم بما يهدى ، من روع تقلصها .

هذا ما كان ذات صباح . لم يكن ككل صباح . انقضى شهر « طوبة » بوطاته البايذة . نهض . اغتسل . نظر من خلال زجاج النافذة . قرر أن يرتدى ملابسه الخفيفة لعله يتحرر من قيد « طوبة » وبردها .

زوجته قالت ، تكلمت كثيرا ولم يسمع ، ربما سمع ولم ينتبه ، لعله منتبه ويتجاهل تحذيرها : « أرجوك ، لا تدع أيام « أمشير » تخذعك ، أرجوك » .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

رفض تناول الافطار . شرب الشاي مع سيجارة يدخنها وحده . زوجته تلوك الشفتين ، تتكور ، تنفرج ، تنبسط . لا أكثر ، شرد عنها فيما قاله بعضهم ليلة الامس :

« لماذا لم تنجب حتى الآن يا صديق ، يا رفيق ، يا شقيق . . يا حبيب ، يا قريب ، يا غريب . . يا أنت ؟ » .

★ ★ ★

هبط درجات السلم فى تودة ، مبعلقا الى ما بين فخذه ، حاول أن يطوى ذكرى ليلته الطويلة وصباحه المبالغت . أمام باب المنزل شعر برغبة أن يضرب صدره ، فعل . . . سعل سعالا خفيفا . . لم يتردد . . كررها ، وهو يحاول أن يسحب شهيقا عميقا .

أخيرا وصل محطة انتظار الاتوبيس .

دفعوه الى حيث وجد نفسه فى منتصف الحافلة المكتظة • تشبث بعمود حديدى حتى لا يهرسوه تحت أحدىتهم • ظل متعلقا بعمود النجاة سعيدا وحده • لم تنجح شكوى الآخرين أن يتنازل عما فاز به • • احداهن تشكو صعوبة فى التنفس • • شيخ بدأ يصيح : « ما عدت احتمل الوقوف على قدم واحدة » • المحصل غاضبا يأمرهم بالارتصاص المنتظم •

أخيرا انتبهوا له ، انه العائق والمشكلة بجسده الضخم الكائن فى منتصف السيارة • لما فشاوا معه سبوا أبويه ، أعلنوا حكمهم الجماعى : « أنت يا من كنت عائقا يا أيها الانانى • أنت السبب ! » •

« أنا ؟ ! » • • « لعلكم تقصدون الزحام الشديد ، وربما شيخوخة الرجل ؟ ! » ردوا عليه بصوت متفق عليه : « بل أنت نفسك » •

تمتم لنفسه غير دهش ، الا أنه حزين ، قال :

« أنا لم أصنع ما حدث ، أنا تأثرت به مثلكم • • وحرك فى نفسي الاحزان » قابله بالصمت • لم يطق عقابهم • قبل محطة الوصول سقط من بينهم ، تابع مشواره سيرا على الاقدام •

★ ★ ★

ولج بين أجساد لا يعرفها فى الشارع الطويل المزدحم • لطمته البرودة ، غدر به المناخ المتقلب ، أجسادهم لم تحمه • فى طفولته كثيرا ما احتفى بجسد أبيه وحده • فجر كل صباح تحت المطر والطققة والثلج والبرد ، وفى كل الاجواء كانا يخرجان معا ، تحت المعطف الصوفى المتآكل الوبرة الى منعطفات بحيرة المنزلة • بأسلحتهما القديمة البدائية يلتقطان الاسماك ، فيقول لولده :

« ما أغبأها أسماكاً .. الطفل دهش : « لماذا ؟ ! »

« لانها تسقط بين ذراعى وأنا الى الاعمى أقرب وبين ذراعىك الجاهلتين تلك »

الآب فى أيامه الاخيرة شعر بعجزه عن الصيد : « يا خساره » قالها وكف عن العمل . حينما شعرت الام أنها غير قادرة على رعاية الشيخ . . ماتت . فكان على ولدهما أن يرعى الآب العاجز والام المتوفاة . وصيتها الاخيرة له : « ازرع الصبار عند قبرى . . رش الماء عند رأسي كل صباح » .

توالت الايام ، فقال لأبيه الملقى فوق الفرن البارد :

« آه ، لقد عجزت عن حماية كعب قدميك من التشقق ، أراه غائرا حتى عظمتى كاحليك » .

لم يفق من شردنه الا عندما ارتطم بأحد المارة ، اعتذر له ، الآخر نظر اليه . . فقط ، ليته كئن لعنه ولعن أجداده . هذا ما شعر به وهو ينسحب الى مدخل المبنى المتعدد الطوابق . انه يملك فيه مكتبا مهالكا فى ركن ضيق لاحدى الغرف المظلمة هناك بالطابق التحت أرضى !

قبل أن يجلس الى مقعده الحيزران الاسود قال :

« ترى لماذا كان هذا الرجل عصبيا معى هكذا ؟ ! » .

زملاؤه لم يسألوه عما يتحدث ، تعودوا منه أن يرطن هكذا وحده !

★ ★ ★

انزوى من الباب الجانبى بعد انقضاء ساعات العمل يكاد لا يتذكر تفاصيل ما عمله . كل ما كان يشغله : « لماذا أحاطني هؤلاء ليسألوني في دائرة عجزي . أليس من الاجدى سؤالى فيما أنا قادر عليه . يعلمون أننى أجيد العزف على آلة الكمان . اعترف بمهارتى ذو الخبرة وأعلام الفن ؟ ! » .

قرر أن تكون رحلة العودة سيرا . قادته قدماء الى حيث لم يتوقع .

ازدحام وضجيج ، صبية وشيوخ ، ألعاب نارية وصلوات ، سرادقات بهلوانات ، انه مولد « سيدى الطيب » . لا أحد يعرف عنه أكثر من اسمه .

مطرب هناك يغني . بطانته تطلب المزيد . مطرب آخر هناك وبطانة أخرى . حلقة ذكر تزداد وتكبر وأخرى على الجانب الآخر .



« النشاز ، النشاز يملأ المكان » .

قالها فى نفسه ، منفعلا ، محتقن الاذنين .. على حين غرة اندفع نحو  
أحدهم . خطف آلة الكمان منه ، فورا بدأ يعزف عليها . الرجل تأكد أن سارقه  
حاذق وماهر فتركه .

فى أول الامر التف الآخرون للفرجة ، لقد تخير لهم معزوفة من موسيقى  
فبات بهلوانا جديدا يأتى بما لا يقدر عليه الشيطان . الحلقة من حوله تكبر .  
أحدهم ، أطولهم ، اندفع من وسطهم . بدأ ينظم التفافهم . أما هو فقد اندفع  
فى عزفه شاردا عما يدور من حوله .

بدأ الطويل ، يدعو آخرين أن يشاركوهم الاستماع لهذا العجب العجيب .  
وايقاع العزف يزداد سرعة ، وازداد الرجال ، اتسعت الحلقة . الطويل  
وسطهم يدير حركاتهم بكل حواسه وانتباهه وقد حمل أحد نعليه فى يده  
اليمنى مشيرا بها اليهم .

صاحبنا غرق فى دنياه ، يكاد لا يعي ما يدور حوله ، الا أنه لمح أحدهم  
يسرق حافظة جاره وقد بدأوا بإشارة من حذاء « الطويل » يحركون رؤوسهم  
معا .. مرة يميناً ومرة يساراً .

هنا فقط كف عن العزف . رمى آله ، اندفع نحو السارق . الرجل الطويل  
فهم . قبض على قفاه . أمره أن يستمر .

العاذف حاول افهامه أنه ليس محترفا وأنه عازف هاو .. يعزف وقت ما  
يحب ويكف عندما يشاء . قال له الرجل :

« هذا قبل أن تقف هاهنا ، وأدعو الناس للاستماع اليك . عليك بعزف أى  
شئ ، أى شئ لا تحبه .. لم يعد يهم » .

**السيد عبد العزيز نجم**

## حياة بن الشيخ

### كلمة شيخ معتوه

جلس الاب العجوز فوق التخت تحيط به الطنافس من كل جانب . قفطان مزركش يلف جثته الضخمة وطاقيه صوفية تخفي صلته وتبتلع رأسه المستديرة . وجه شاحب مغضن وملامح متعبة فاترة وعينان نابضتان بالقوة والسيطرة عجز العجز عن الوصول اليهما .

فوق مائدة صغيرة محلاة بالصدف ، ابريق فضي وبضعة كؤوس وصحن مملوء بالفستق علامة وجود مسعودة فهو يتبعها حيث كانت .

تفرق الابناء وسط القاعة الفسيحة فوق السجاجيد الفارسية الثمينة . أربعة ذكور وزوجاتهم وثلاث إناث وازواجهم في أحد اركان القاعة قبع الاطفال يتهايمسون دون ضجة خوفا من غضب الجد المتقلب المزاج كأيام شباط الكثيبة . جثة الشيخ الهرم ما زالت تبعث الرعب في القلوب رغم الهزال والذبول وبريق في العينين لا ينطفىء يشي بماض حافل بالسطوة والدسائس وحاضر زاخر بالتهيب والترصد .

يتنحج الشيخ في مكانه والعجوز الزنجية مسعودة تدخل القاعة بقامتها القصيرة المبتورة وأطنان اللحم المتراكمة خلفها وأمامها . تتربع قربه فوق التخت تحوطها الطنافس والحرائر ، بسمة خبيثة تعلق الشفتين الغليظتين ، وعينان جاحظتان تنطقان بطموح لا حد له . تصب كأس شاي من الابريق الفضي . تقدم له الكأس بيد منتفخة الاصابع صلبة رغم مرور السبعين . همس كالمناجاة يجمعهما .

الابناء في صمت واجم ينتظرون . القلق في الصدور والسخط في النظرات التائهة والحركات المتبرمة . يرقبون حركة الأب الراكض نحو التسعين بجرأة وشموخ ابن العشرين .

يحتسي الشاي على مهل والزنجية مسعودة تشرب من وجهه الشاحب قبل  
ان تتناول كأسها • فرحة هي ومطمئنة للغد • احتوت الشيخ الداهية وطوته  
تحت جناحيها وحطمت كبرياء العصاة من الابناء •

رحلت العجوز الشمطاء امرأة الأب • أخذت ما تملك وما لا تملك وهربت  
فى ليلة ممطرة لم يسطع فيها نجم ولا قمر •

ابتعدت بعيدا عن القرية غير عابثة بما يكون • حتى مصوغ أمهم الميتة  
اختلسته ولم تبق قطعة للذكرى •

فرحوا لهروبها وتنفسوا الصعداء • اعتقدوا أن الأب الذى انتزع منهم ذات  
يوم سيعود اليهم نادما مبتهلا ، لكن الزنجية كانت الاسبق • اقتحمت البيت  
وتمركزت فسجدت الهم وذلت الرقاب وسقط الامن فى قاع المجهول •

تجشأ ، داعبت أصابعه النخيلة لحيته الكثة ، غمر المربية مسعودة ببسمة  
حانية قال وعينه تنفوسان فى الوجوه الكالحة :

— اسمعوا ، أنا شيخ فى التسعين يلاحقني الموت والمرض •

همهمة تتصاعد : اطال الله عمرك •

يهتف غاضبا وكفه البضة ترتجف فى الهواء :

— لا أريد أن يقاطعني أحد • شيخ هرم يطارده الموت ، نعم لكنني لن أموت  
قريبا كما يتمنى البعض • تعرفون ان جدكم مات فى المائة ووالد جدكم تجاوز  
المائة بكثير لذا لا خوف من الفناء المبكر • كل ما يخيفني هو مآل الثروة بعدى •  
إنها شقاء العمر وتعب عائلة توارثت الحيرات واستغلت النفوذ لذا فلا يجب أن  
يروح الكل هباء • سيتولى الاشراف على التركة أخوكم رضوان ، ليس هو بالابن  
البكر لكنه أكثركم اتزانا مع الطاعة والامانة • لا أريد نزاعا بعد موتي ولا فى  
حياتي • دعونى أعيش مطمئنا •

زغردت عينا رضوان وانتفخ صدر زوجته السنمراء الضخمة الثديين • لمعت  
الاسنان البيضاء فى فم مسعودة العريض وهى تقول بغطرسة نصف مقيدة :

- رضوان طيب ومطيع وأكثر الناس برا بمسعودة لذا فهو يستحق كل خير .
- الابن الاكبر يزدرد غيظه بمهانة . يكضم غضبه هامسا فى اذن الاخ الاصغر :
- أنا أكبر سنا من رضوان وكان يجب أن أتولى بنفسى أمر التركة .
- لست فى حمى مسعودة فكيف تطلب الاشراف على التركة . اما رأيت تودده وتزلفه فى مخاطبتها ؟
- احتقر هذه الشمطاء ولا أطيق وجودها . جاءت مربية وأمسست المسيطرة على البيت .
- وعلى الشيخ المخرف .
- سجدنا قبلا للفاجرة وما نحن نخضع لاحكام الزنجية اللثيمة .
- هل تطول هذه المحنة ؟
- موسى يتنفس بصعوبة . ارتعشت أطرافه واصفر لونه وبدأت الارض تهتز تحت قدميه . ضاعت سنوات الطاعة ، وتبعثرت أحلام السطوة . تحمل شذوذ الزوجة السابقة المدللة وتمرغ تحت أقدام الأب الغريب الاطوار وبات أشهراً يحلم لكن النحس يطارده . تهمس زوجته التى قاسمته الحلم والمحنة :
- نفس الكلام قيل السنة الماضية وما قبلها ومنذ أكثر من عشر سنين لذا فلا تغضب . دورك آت لا محالة .
- من قال : إن رضوان هو أكثرنا اتزاناً ورصانة . تجاهل الشيخ الجبار خضوعى وطاعتى فكيف يتجاهل عبد القادر فهو أكبرنا سنا ويفوق رضوان خبرة فى ادارة الاملاك .
- كم ادعى وقال عن محمود . كاد يجعل منه أسطورة . الذكاء والفطنة والبر والاحسان بالوالدين .
- واذا به يأخذ محصول الارض ويبيع المعصرة والطاحونة ويترك القرية هارباً .



وقبله باعت تلك الفاجرة بيت الجدة وقافلة من المواشي مع ما لا أدري كم  
شوال من العلف .

– هرب لص وبقي آخر لينبهنا ويذلنا باسم الشيخ المعتوه .

عاد يتلوى ألما ويده لا تبارح معدته ، ونظرات زوجته لا تفارق وجه الزنجية  
الباسمة .

طفل يضحك بصوت خائف . رضيع يطلق صرخة كالعواء . الأخت  
الصغرى تلقي في فمه بشدي منتفخ يرغمه على السكوت . تهمس في أذن الأخت  
الكبرى متسائلة :

– لم لا نبيع التركة ويأخذ كل نصيبه ويستقر . ألا بد من الذل والمهانة  
والتقتير في المصروف ؟

– كتبت علينا المحنة وسيلاحقنا الافلاس الى الأبد .

ضحكة العجوز الزنجية ترن في القاعة وهي تقدم له الفستق المقشر :

– أولادك طوع بنانك ، ولن يخالفوا لك أمرا يا حاج عبد الصمد . فكل  
الفستق . كل .

بصوت متقطع تقول الأخت الثانية أم الاولاد السبعة والزوج العاطل  
المريض :

– أرايت الاقراط الذهبية والعقد الماسي فوق صدر زوجة رضوان يخطف  
الابصار .

ترد الأخت الكبرى متحسرة :

– ولم يمض أسبوع على رحيل محمود .

– لن تكون أقل من الاخرى . أنسيت زوجة محمود والجواهر التي اشتريتها  
والثعبان المرصع بالزمرد .

– هكذا سنظل نعد ما اشتروا وما نهبوا وأولادى السبعة لا يجدون لقمة  
العيش .

- إناث يعشن فى كنف الزوج عليهن بالصمت هذا ما قاله محمود وما سيعيده رضوان .

- لكن متى تنتهي هذه المهزلة ؟ متى ؟

الشيخ يبتسم مزهوا والزنجية تضحك . ازداد لمعان الوشم فوق جبهتها والشعر المخضب بالحناء يلثمه .

يزفر زوج الاخت الكبرى محطما سياج الصمت الكثيب الذى يطوقه :

- سنوات تحلم بالاموال والراحة فلم نجد غير التبعية . قانع أنت بما جرى أم لك رأى آخر ؟

يجيب زوج البنت الصغرى :

- استسلمنا لجنون محمود فلم نخفض الرأس لرضوان .

- وتكون له الاموال الساخنة ولنا الرغيف البارد كالعادة .

- هل نرغم الأب على اقتسام القرعة وهو حي ؟

- لن يرحل الا بعد أن يتركنا على الرصيف نتسول اللقمة .

- الاولاد ينتظرون فى وجل فما نفعل نحن ؟ انه فى التسعين .

- وأنا فى الخمسين مع الربو وتشنج المفاصل .

- وهو لا يكف عن مغازلة المربية الفاسقة .

- وكل خادمة تدخل البيت الكبير . ستبتلع الخادومات ما يغفل عن نهبه

رضوان ونودع العيد بلا حلوى .

- ان صمت عبد القادر فما يكون الامر ؟ أليس هو أكبر الاولاد فلم لا

يتكلم ؟

الاخ الاكبر يتنفس ببطء . عرق بارد يتصبب من جبينه . اكفهر وجهه

الداكن وداهمته التجاعيد فجأة . كلمات الاخ الصغير تغوص فى أمعائه كخنجر

ملتهب :

- ألا نفعل شيئاً هل نكتفي بالمشاهدة ؟
- هل نطالب بالارث وهو على قيد الحياة ؟
- لكنها أموال أمانا وليست أمواله • ألا تعرف ما كان والدك قبل الزواج بأمانا ؟
- متشردا كان يركض من أجل الفئات ولولا جنون تلك المرأة الساذجة لما شبع •
- الى الآن لا أعرف كيف قبلت زوجا ؟ ومن أى صفيحة قمامة التقطته ؟ مجنونة كانت • مجنونة •
- ألا يمكن أن نقول : لا •
- ستخرج مدحورا مطعونا من الخلف وتروح أعوام الصبر هباء •
- وقد ضاع العمر فى السجود والترقب ولا شئ غير البلاء •
- يترنح الشيخ وهو يحاول الوقوف مستندا على كتف الزنجية • يسرع رضوان ليمسك بذراعه اليمنى •• زوجة رضوان تقدم له العصا العاجية ببسمة عريضة • الفرحة ما زالت تزغرد بعينيها وبريق الماس ينير الدرب الطويل أمامها •
- يلقي الأب نظرة على الحضور • يقول وهو يتقدم نحو الباب :
- كلمة أريد أن أقولها • اسمعوا كلام رضوان وأطيعوا مسعودة ولكم دعائي •
- يخرج ومسعودة تطوقه بذراعيها • يزمجر الاخ الاكبر والغضب يحفر وجهه :
- هكذا ، راحت الغنيمة ولم يقل أحدكم : لا •
- يثن موسى ويده لا تفارق معدته :
- لانكم أغبياء هزمتكم عجوز زنجية •
- الاخت الكبرى بامتعاض :

– لن نسكت • سنطالب بحقنا كاملا من رضوان •

الاخت أم الاولاد السبعة ساخرة :

– هذا إن لم يبع الناقة والجمال ويلحق بأخيه • كما قال موسى : أغبياء أنتم •

يهتف رضوان باسمه وهو يعود الى الغرفة تتبعه زوجته المنتشية بالغبطة :

– ما رأيكم فى كأس من الشاي مع قليل من الفاكهة • زينب اطلبى الخادمة حتى تعدلنا بعض المأكولات •

الاقراط الذهبية تتأرجح من الاذنين تلقى بظلالها على الوجه الضاحك • بكى طفل • صرخت طفلة وهى تدخل فى شجار مع ابنة عمها • ابنة رضوان تعانق ابن موسى هاتفة بمرح :

– ألا تلعب معي بالدمية؟ تعال معي الى الحديقة ، أما مللت الثروة العقيمة ؟

عبس الرجال وانخفضت الجباه • وقفت الاخت الكبرى • تبعها الشانية والثالثة • تلاحمت النظرات وانعدت الالسن • خرج الجميع من القاعة وابتسامة رضوان تتسع • تتسع • ولم تأت الخادمة ولم تقدم الشاي •

### حياة بن الشيخ



## تنقلات في مكان غير معلوم

يأتيك من الانباء ما تحسبه يثلج الصدر فتتنقشع السحابة ثم تشرئب الاعناق الى أعلى نقطة في السماء وينقضى النهار كأن شيئاً لم يكن فتعيد الكرة ويحملك غضب قديم الى بوابة حلم ركيك .. تغمس أصابع يديك في ظل حائط هرم ينزل ببصرك الى أسفل درج كسرب نمل يلتوى .. تنتظر عودة الغضب الى مكمنه، ولكن ارتعاشة الاصابع في وهج القيلولة افرغت المكان من الروح فانهمر السواد من الشرخ الطالح من الصدر المضطجع وتطايرت الغربان مذعورة ثم نبحت كلاب السهول المنسية ولمعت في ذاكرتك صورة أبيك القليل .. تمنيته يذبح قبل أن تعرى السماء وينبلج صبح الثقب الأزرق ، وتراءت لك صولته كفرا قبيحا لا يرحمك ويده الحشنة لعنة جهنم تسرى في دمك منذ الولادة .. ولعنته وأنت الواثق من قبره .. خشيت على نفسك من جريمة أخرى تعيد اليك أمك المجنونة .. خطوط في اتجاه حقل مزعوم .. لمحت بعض الاغصان تصعد من القلب وأنت في النزاع الاخير تغالب ظل حائطك وأصابعك مشدودة الى الموت البطيء وخطاك تهزأ بالطريق وحركتك الفارغة .. لم ترحل الى ماء الخضرة .. انتظرت موعد الجريمة .. اسندوا ظهورهم الى الحائط وعيونهم كآخر الحلم وبدأوا عهد الاطفال يقتلون .. ناديتهم أن تعالوا ، فأشاحوا عنك بأوجاعهم وأطلقوا زفيراً لا كالزفير .. ثم تغافلوا عنك النبأ يسوقه الثقب في النهار الشرخ .. لم يأتك من الانباء ما يفرح القاب .. تفتتح الزقاق في الحلم ساحة كبرى يجلد فيها كلاب ، والنباح يزعج المارة فتندب العجوز في الشقة المقابلة خديها وتشرئب الاعناق الى كلب يسلخ في أعلى العمارة والدم يتقاطر على سطح سيارة رابضة هناك .. ويلطخ الجدار بالقهوة والزبدة .. تغمس أصابعك في دم الكلاب تقتل ، وتصلك أنفك زفورة اللحم تطؤه عجلات سيارة تخترق الشارع بسرعة جنونية .. وبحثت في شارع حلمك عن أناس تعرفهم قبل أن ينتحر أبوك في صبيحة ذلك اليوم وتدوس جثته الاحذية المتعجرفة ويعلن كفره على رأس الملا ويهتك سر أمك .. أوامات الى العجوز بالنزول اليك لتسألها عن آخر زيارة للجنود الى الساحة وأنباء السحاب والشرخ والغربان والكلب السليخ والطريق المؤدية الى حلم هادي .. فتبادت العجوز في صراخها وأعرضت عنها ثم واصلت

سيرك لتخلص أصابعك من الظل ورأسك من أغلال أبيك اللعين . ناديت المارة  
أن تعالوا . . نظروا اليك فى رعب من يلاحقه الزمن وتمسكوا بأشيائهم ثم  
تركوك تلعن أجدادهم ولم ينطقوا بكلمة . . . الشارع يتسع وأكداس اللحم  
والجدران الملطخة بالدم والقهوة والزبدة تبعدك عن العمارة والعجوز الشكلى  
وولدها الكلب يسليخ والناس يتجاهلون الصورة ويلحقون الساعة الهاربة . .  
لعت أباك فى جهرك مرات ثم همست : لماذا أشغل بالى بأمور لا تهمنى ؟ « .  
نكست رأسك واقتحمت سبل المارة تدفن فيه ذكرياتك وشريط الجرائم  
وصرخات العجوز ولون الدم يسيح على حائط العمارة فى وضح النهار وخيانة  
أملك . . .

تندفع حركة السبل الى الامام تحمل معها وجوه المارة والسيارات وواجهات  
المغازات البلورية ومعلقات الاشهار وصور البث التلفزيونى ، وأنت ثابت فى  
مكانك يشدك الحلم اليه فلا تستطيع الفرار من كوابيسه ولا تصرخ لان  
البكاء خيانة من فقد الوالدين فأثرت الجلد واللعة على أن تدوسك الاقدام ، .  
ورفضت الشبابيك ترفع اليها عينيك لتتملى الوجوه الصبيحة والصلف الاكبر  
فى أعلى الهرم . . أحببت الشارع تظاً أرضه وتنتقل فيه من حلم الى آخر وتدفن  
فى ضجيج أسطورة الموت البطيء . . وحسبت المكان يند المكان والزمن يقهر  
الزمن والغربان تلتقط فتات الحزن لتجعل النهار عرساً لا يتوقف والشرخ  
يندمل والليل يلد النهار والسليخة تفشى أسرار ذابحها والكلاب الجريشة تلهب  
الحديد والسياط بحريق دمها المسفوح والريح تطرد السحاب الراكد والوجوه  
المدحورة تستنكر بياض الوجوه المتشابهة . . ولكن الشارع لا يلد الشارع  
والسبل حركة جامدة وحلمك شرخ يندفع فى صدر النهار ينحدر الى أسفل  
الدرج يكنس زفورة اللحم المدوس وأوجاع الفكرة الوليدة وذكريات الرعاية  
الرحل يجوبون البلاد ويفرون من الجنود وأزيز الرصاص والسياط وأحلام  
المشائق . . يصعدون الى قمم الجبال ، يتضرعون الى السماء . .

يا لعنة أبيك ترثها قبل أن يصلك نبأ الحلم القادم . . لن يأتيك ما يفرح  
القلب . . تساءلت : «ماذا سألن حينما تتراءى لى صورة طفلى الرضيع يحملونه  
من الفراش الى المقبرة ويشحذون السكين ليذبحوا النار فى عينيه على قبر أبى ؟»  
اندفعت فى سبل الشارع تضانك المارة وتبحث لك عن سبل الى الوجوه  
الممتلئة وبداية الحلم القادم .

مصطفى الكيلانى

## حكايات القلب الجريح

### ① القبر :

عندما اقتربت من ذاك الكدس . كدس التراب . كدس التراب الذى فوقه حجر منتصب من جهة الشرق وحجر من جهة الغرب ، عرفت انني أقف عند قبر . قبر لا كالقبور . لم يكن فى جبانة . ولا قريبا منها . ولا يمكن له أن يكون نواة لواحدة فى المستقبل . لانه بعيد عن العمران . ولانه كان ينتصب شاهقا فوق قمة الجبل ...

احترت فى أمر ذاك القبر ووقفت عند رأس الميت أفكر فيه . لكن حيرتي بدأت تتحول شيئا فشيئا الى فزع شديد . اذ رأيتني اخترق بعيوني التراب الى أن وصلت جسم الرجل وصرت أنظر اليه كما لو كنت أنظر الى شخص من خلال زجاج نافذة ... رأيت الهيكل العظمي يكتسي لحمًا وشحما . ورأيت الدم يسيل فى الشرايين . وشاهدت بعيني شعر الرأس والذقن ينبت شعرة شعرة . ثم شاهدت الجفون ترمش والشفاه تتحرك ... بعدها بقليل تشاب الرجل وأفاق كما يفيق الراقد من نومه ...!

كان قلبي يدق بعنف . وكانت ركبتيان تصطكان حين انشقت الارض وخرج منها رجل يرتدى بزة عسكرية ، وينتعل حذاء ثقيلًا ويمسك فى يده بارودة من الطراز القديم ... جلس على حافة القبر المشقوق ونادانى ... أقبلت نحوه أقدم رجلا وأؤخر أخرى ... وعندما صرت على بعد متر منه سألتني بكل لطف :

« من تكون أيها الرجل ؟ »

قلت له : « أنا رجل مغرم بالتنزه فى الوديان وبصعود الجبال » .

ثم سألته : « وأنت من تكون ؟ »



لم يرد على سؤالي . فسكت الى أن بادرني : « هل المدينة بعيدة من هنا ؟ » قلت : « مسيرة نصف ساعة للرجل » ثم أضفت : لكنك لم تقل لي من أنت أيها الرجل ؟

رد : « أنا واحد من الذين نجوا من الموت لما حاصر هذا الجبل جنود وقتلوا رفاقي ! »

قلت : « ولكنك كنت في هذا القبر ! »

قال : « نعم ! ولكن رفاقي ماتوا عندما أكلتهم الذئاب والضباع . أما أنا فكما ترى ما زلت حيا ! »

ثم وقف . وضع بندقيته فوق ظهره وبدأ ينحدر الى السهل ...

قلت : « الى أين أنت ذاهب أيها الرجل ؟ »

قال : « الى المدينة ! ألم تقل : إن نصف ساعة تكفي لبلوغها ؟ »

عندما غاب عن ناظري . التفت الى القبر فرأيت حجرا ينتصب فوقه من جهة الغرب وحجرا آخر يقابله في جهة الشرق ... ابتسمت في سري وواصلت المشوار ... <http://Archivebeta.Sakhrit.com>

## ② السوس :

زعموا أنه كان عام لا كالسنين الاخرى ! لم يكن عام وباء .. ولا عام جراد ... ولا عام مجاعة ... وانما كان عام سماه الاهالي عام السوس ! والسوس هو تلك الحشرة الصغيرة السوداء التي تمتلك مناشير كهربائية في فكيها ! مناشير تعمل ليل نهار ولا تتعب أبدا . تأكل الحشيش بجميع أنواعه من «التاك» حتى خشب جذوع النخل . ونحن في قرينتنا نعشق النخل ونعاشره من المهد الى اللحد . تلك الشجرة الشامخة المتعالية على غيرنا . تعطينا نحن كل شيء : تمرها وبلحها وجريدها وسعفها وخاصة جذوعها التي نستعملها لتسقيف المنازل .

زعموا أن السوس غزا ذاك العام بلادنا . جاء على الاقدام . وفي سيارات الأجرة . وفي عربات القطار . وحتى بالطائرة ! جاء جائعا وحط رحاله



عندنا . وما إن وصل الديار حتى بدأ فى شحذ مناشيره ثم تسلق السلالم وسكن فى سقوف المنازل .

قال الراوي : إن ذاك السوس كان شرسا . لم نر له مثيلا من قبل . وكان ذكيا ، محتالا . يعرف كيف يمرر مخططاته بحنكة وثبات ... كان يهجم على خشب السقف الواحدة بعد الاخرى ، وحتى لا يشتت مجهوداته كان ينخرها نخرا الى أن تصبح كالغربال ويظن الاهالى أنها وحدها «المريضة» فيبادرون الى تعويضها بواحدة جديدة ... عندها يمر الى البقية ... وكان فى كل مرة يحكم مناوراتها مرة يمتنع عن الاكل لمدة قد تطول حتى يحسب المتساكنون أنه قد رحل بدون رجعة . فتلعلع بواريد التهاني وتذبح الحرفان فرحا واستبشارا ... ومرة يكشر عن أنيابه فى وضح النهار . فيأكل الخشب ويتفل على وجوههم النشار فى تحد صارخ ... ومرة يهادن بيوتا ويهجم على أخرى ... الى أن عيل صبر الجميع فذهبوا الى « الدبير » . قالوا له : يا حكيم الزمان لقد نخر السوس السقوف حتى كادت تهوي على رؤوسنا . قل لنا ماذا نفعل ؟ وبعد أن حك رأسه وقرأ كتب الحكمة السبعة أمرهم بإشعال النيران فى البيوت وبحرق بذور القفل داخلها . فيختنق السوس ويموت ... وأحرقوا بذور القفل . وزادوا فوضعوا فوق النيران «البخارة» لتزيد النار التهابا والرائحة نتانة . لكن السوس كان حذرا . فوضع كل واحد منها فوق أنفه كمامة تشبه الكمامات الواقية من الغاز المخنق لدى الجنود . وضحك على حكيم الزمان وعلى تلاميذه . ولم يمت منه الا صاحب العمر القصير .

وعندما زار الاهالى الحكيم مرة أخرى . قال لهم : لم يبق لكم الا هدم البيوت على رؤوس السوس . لأنكم مهما عوضتم من خشب منخور بآخر جديد فان السوس سوف ينتقل من هذا الى ذاك ويعديه كما يعدي المجرب صاحب الجسم السليم ...!

قالوا : ان الاهالى هدموا السقوف وأشعلوا النيران فى كل الخشب فأحرقوا عددا كبيرا من السوس وفر البقية بعد أن احترقت « باطاريات » مناشيرها الكهربائية .

قال الراوي : « والكلام ليه روح ! »

### ③ الشومة :

لم يكن أحد في قريتنا وفي القرى المجاورة لا يعرفها . كان يعرفها الكبار الذين عاصروا ميلادها . ويعرفها الصغار لانهم سمعوا حكايتها من أجدادهم . وهي الآن امرأة عجوز . تسكن وحدها وتبيع « النفة » للعجائز الاخريات . وتغزل الصوف . ورغم كبر سنها فهي ما زالت تتقن صناعة الجبة والبرنس ولحفة الحرير ... اسمها الحقيقي فاطمة بنت يونس . وكنيتها « الشومة » . جاءت بعد تسعة أولاد . وكان أبوها يرغب في ولد عاشر ليتباهى بهم داخل القبيلة وخارجها . ولكنها جاءت مكان الولد . فغضب . وسماها « الشومة » . قالوا : انه لم يكلمها ولم ينادها باسمها الا تلك الليلة ! ليلة الواقعة . كان المطر ينهمر مدرارا من السماء وكانت الوديان تجري في اندفاع وقوة . وكانت الشومة تصارع ماء السماء وماء الأرض لتصل الى والديها . هناك فى خيمتهم المنتصبة فى ركن من أركان الجبل . كان البرق يومض فيعشى الابصار . وكان الرعد يدوي فيصم الآذان . وكانت المياه تنهال عليها فتبل ثيابها وتعمي نظريها . ولكنها كانت تزداد اصرارا على الوصول اليهما . هناك فى ركن الجبل ... كانت تحمل قليلا من الزاد وكثيرا من العزاء لهذين الوالدين ...

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

\* قبل ذلك : ذهبت الى كبير اخوتها تطلب منه تحويل اقامة العجوزين الى بيته . فرفضت زوجته طلبها . وهددته بالويل والثبور . فرضخ لها . وطرد أخته من بيته . وذهبت الى الثانى . والثالث . والرابع . والتاسع ... وكان جوابهم يكاد يكون مماثلا لآخيهم الاول ! ... وعندما أعيتهما الحيلة أقنعت زوجها باستضافة والديها . فوافق . لكن الشيخ والعجوز رفضا ذلك وتمسكا بالحيمة وركن الجبل ...

\* قبل ذلك : قال الشيخ لزوجته يجب أن تقسم ثروتنا على الاولاد ونحرم « الشومة » حتى لا يذهب رزقنا للغريب ... ووافقت العجوز الا انها أخفت لبننتها قليلا من المصوغ وكثيرا من الحنان ...

وأخذ الولد الكبير الحقل الغربى . وكان نصيب الثانى بستان اللوز . واستولى الثالث على قطيع الغنم والماز . وباع الرابع نصيبه من التركة واشترى به سيارة « كات سن كات » باشي ... وأخذ التاسع حقل

الزيتون ... ولم تغضب «الشومة» وقالت : «رزق بؤك عند خوك لا ضاعلك ولا غدالك» . ولم تحزن لان نصيبها من التركة كان حنان الدنيا أهدتها إياه أمها من القلب الى القلب ...

★ قالت « الشومة » : أبي ! ها قد جئت إليكما !

وقال الشيخ : من ؟ « الشومة » أين إخوتك ؟

وردت عليه : انهم ينامون فى احضان زوجاتهم لان الزوجة شديدة ولا يقدر عليها إلا قلب كقلب بنتك « الشومة » يا أبي !

قالت العجوز : صدقت يا بنتي ... وانهمرت من عينها دمعة حولت الوديان الصغيرة الى طوفان عظيم ...

#### ④ الدراجة :

إنها هي ! أقسم لكم بشرفي إنها هي ! خضراء اللون تغار من خضرتها حقول القمح فى باجة . جديدة . تلمع كاللؤلؤة اذا تعرضت لها أشعة الشمس فى يوم جميل . بها كرسي مغطى بزرية ثمينه . وناقوس له رنات كرنات نواقيس الكنائس القديمة . وفانوس ينتصب أمام المقود شامخا متكبرا كالمنار .

إنها هي ! وهذه الأسود التى تزين الهيكل ألصقتها بيدي . أسد ذو فم مفتوح ، وأنياب حادة كالخناجر ، يتشاءب ويتمطى . وأسد آخر يحتضن حسناء تلبس فرو نمر . وثالث يضرب بخف شبلا من أشباله ويغازل بالحف الآخر واحدة من « حريمه » . إنها أسودي أنا . أعطانيها خالي عندما جاء من فرنسا . وكانت أيامها عائلتنا تحتفل بنجاحي فى « السيزيام » ...

إنها دراجتي التى ضاعت مني ! لم أحزن كثيرا عندما لم أجدها قدام الحانوت . قلت : « قد يكون صديقى استغل وجودى بالدكان وامتطأها ليطمئن مدة بجريانها فوق الاسفلت ، ويشاهد من فوقها أشجار الشارع وعواميد الكهرباء والهاتف وهى تجري الى الوراء كلما اقترب منها ... ترقبته أكثر من ربع ساعة ... وعندما لم يعد بدأت أحس بالقلق . وبدأت



عيوني ترف - قلت : « اللهم اجعله خيرا ! » ثم أخذت القفة وبدأت أتمشى جيئة وذهابا أمام الدكان وأنا أغلي كمحرك السيارة ... وعندما مر نصف ساعة ولم يعد ذهبت الى المنزل راجلا . قرعت الباب بعنف . ولما خرجت أختي صائحة ، ناهرة ، أعطيتها القفة ولم أرد على سبابها . قلت : سأعاقبها بعدما استرجع دراجتي . اتجهت الى ساحة القرية وأنا ألعن « سعيدا » فى سري وفى جهري . ثم يرق له حالي فأبحث له عن الاعذار وأقول : « ربما استهواه ركوب الدراجة فنسي الوقت ونسيني ! » وأخيرا وصلت الى الساحة . وجدتھا مكتظة بالاطفال . كانوا يلعبون مقابلة حماسية فى كرة القدم . وكان « سعيد » منھما فى اللعب والعرق يبلل قميصه وتبانہ ... ناديتہ وسألته عن الدراجة فقال لي : إنه تركھا أمام دكان العطار لما كنت أنا بالداخل اشترى السكر والشاي واللوز ... وجرى وراء الكرة كالسارد الصغير ...

اقتربت من الدراجة متلصصا . احتضنتھا . ثم ضربت الناقوس فأحدث دويا لذيذا طربت له . فأعدت العملية مرات عديدة الى أن جاء صبي يجرى . رأيت فى عيونه تساؤلا غريبا . كان كأنه يقول : « ما بال هذا الرجل المحترم ، ببذلتہ الانيقة ، وربطة عنقه الفاخرة ، وقميصه الابيض ، وحذائه اللماع ، يلعب بناقوس دراجتي ! » وعندما وصل قربى مد يده يريد المقود ... دفعته برفق وواصلت الضغط على الناقوس ... ومد الطفل يده من جديد يريد الدراجة ... فدفعته مرة أخرى ! وقلت له : « ماذا تريد اترك لي دراجتي يا « سعيد » ! » ورد الطفل : « أنا لست « سعيدا » يا عم ! أنا « أيمن » وهذه دراجتي ! » ...

تحلق حولنا خلق كثير ... سألوا الطفل عن الخبر فقال لهم : « هذا يمنع عني دراجتي ويقول : إنني « سعيد » ! وأنا « أيمن » وأسكن قريبا من هنا فى هذه العمارة ...

قلت لهم : « لا تصدقوه ! إنها دراجتي ! وقد ضاعت مني ! وها أنا أجدها اليوم ! »

قالوا : « متى ضاعت منك دراجتك ؟ »



أجبتهم : « ضاعت منذ أكثر من ثلاثين عاما ! »

وبدأوا يضحكون . رأيت أسنانهم البيضاء والصفراء تضحك . ورأيت عيونهم تضحك . ورأيت وجوههم تضحك ... وامتلا المكان ضحكا . صخباً . جنونا ... فتركت ناقوس الدراجة وانسحبت .

عندما كنت أغيب فى آخر الشارع سمعت واحدا منهم يقول : « انظروا هذا الرجل المجنون الذى يظن انه وجد اليوم دراجته التى ضاعت منه منذ أكثر من ثلاثين عاما ! »

**ابراهيم درغوث**

أم العرائس - ربيع 1988



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

## هبنى مثلها أخرى

البارحة انتشر الضحك ، وعجبت لماذا لا ينتشر عند الحاجة ؟؟

واكتسى الوجه لونا غير لونه ، فبات على هيئة حبة اللوز مستدقا ...

ولام اللائم يقول : الحال لا يجوز .. وكثر العذل .. نهضت أكيف ما علمت به ، ابتسم ، فتعفن الضحك .. ملت أسأل عن الظرف وملت أسأل عن معنى الكياسة ذات عصر له أحوال خاصة .. و ..

ضاق البيت بالمحتويات الكثيرة ، أوليت ظهري للباب ، وسرت أعبد الطريق .. أجلب ربيعا تعود عشبه أن يعبر كالسفن ، سرت أدق الابواب ، وأسأل أين تستر ؟؟ أين يخبيء الكلاب بذره ؟ والغيم ما الذي أصابه ؟ والربيع من قيده فى قلب غمامة فى جوف القمر ؟؟

سرت أسأل الكلس ، أسأل المرمر ، أسأل الحجر فأطلقت النعوت فى اثرى .. فأطأت رأسى وواصلت السير ..

والح الاهل .. قلت : كل أنا !! أحاطوا بي ! ما الذى يكفيك ؟؟ ما الذى يغنيك ؟؟ قلت : ما كنت أحتاج الى الردف . ومسحت مرة بعد مرة عيني .. وتأوهت : إثم الرديف حظه ونصيبه .. وقمت والنعوت فى إثري تطلق .. وفى العمق لها معنى أن ألجأ الى أرض بعيدة ..

سرت .. فارت ضحكة ، وضاق الزقاق بالكلام .. دخلت لجج الصمت وأطلقت آهة فتدفق الماء حارا يصبغ المسافة .. بما جاد يعقوب جدت .. رشح الجسد بكل ما ود .. وساعدنى الوضع أن امضى بكل مودة اسأل عن الذى ما زال يتبقى ..

وسألت الماء فجف ، سألت الطين فانحت ، سرت حتى رأيتني تحت الكف  
يدثرني حرف العلة والعطف ، وحرنت لماذا التعب؟؟ ولماذا... فما أمكنني أن أرى  
غير ما رأيت!...

واخترت أن أحشد الموت في الثوب فاشتد القرع ، وتوالى بحدة ..

- من ؟؟

- ...

دعني أتحذ في شكلي مع نفسي ، دعني فالسعال يحتد ، والحمى تنخس  
جني .. دع جليل الامر لفرصة أخرى وانتخب الوقت أو عد غدا إذا أصابك  
القلق ، أو دعاك الى الطرب هم ..

- طاق .. طاق .. طاق ..

- اذعب قد أنسى أنك جئت .. قد أنسى أن أسميك يا أيها الكائن الذي  
لا أراك .. اللغة تضيق .. والحركة تشي بأنك لست غريبا إذن احتمال أكيد  
أن تعود غدا ... عد غدا إذن ، ولا تكن عنيدا ...

<http://ArchiveBeta.Sakhri.com>

- طاق .. طاق ..

متى ينتهي الوحز ؟ متى يخفت الدبيب ؟ متى يهفت النغل ؟ متى يتفقا  
الدمل ؟ متى ألفظ سود الهم ؟ متى يلتئم بعضي على بعضي ... عد غدا ...

- طاق .. طاق .. طاق ..

من أي حار أنبثق ؟؟ من أي بارد أرتاد النفق ؟؟ الفضاء يحترق ،، بت  
من الحسد أزع يا زعيم الوقت ولماذا يستهويني المسكر ؟ ولماذا قبل أن أغرق  
أفر ؟؟

البارحة اندفعت داجنة ، وبلغني أشد ما يقال عن المتفرق اذا انضم  
وتآلف ..

قلت : لا يزال الحال جامدا ، وما أحوجني للبقل لو ييس كله .

رفع البخيل جبينه وقال : ما أخذت سوى هدية الوقت بك جلف القلم  
ولك الورقة .

وابتسم فتعفن البكاء ..

كم بسمّة على الشفاء انتحرت ؟؟ وكم دمة من بين الاجفان تبخرت ..؟

بت من الجسد أزق ، فمتى فى الفضاء أنبثق ؟؟ متى أشهد القامة تمتد ،  
ترتفع ؟ متى يتألق أزرق الافق ؟ متى تسقط رؤوس القصب ؟ متى استنشيق  
البارد ؟ ومتى تدمع العين لأعجم الشك ؟

- طاق .. طاق ..

- يا أيها الطارق ، القدر صغير ، والطعام قليل ، عد غدا ..

- طاق ، طاق ، طاق ..

- الحب حتحات .. واللحم خردل فاسد ، وحاتم قد مات .. فلماذا تطرق  
الباب ؟ هل جئت تسأل عن المأدبة لمن ؟ .. اذن عد غدا ..

ولا تنسى المعول والجراب ..

- .....

ترى لاي هم يأتى أشعب ويلم الرفاق ؟؟ هيئة نزوله ، مراسيم حلوله  
تخرق عن الميثاق المعتاد ، ترى لماذا يجوب فى البلاد ؟؟

- طاق .. طاق ..

ها إنه قد عاد ، أشعب لا يتخلف عن ميعاد ، فليتسلل من شقوق الباب  
إذا استطاع وأراد .

**خديجة الجويني**



## ينبت الشر في السباسب العليا

أربع سنوات وثلوج البلاد البعيدة تحفر في عظامك .

أربع سنوات ووجهك مسكون بغيوم تلك البلاد ، وضبابها . وعيناك  
تسافران خلف الافق الذى يتوارى وراء البنايات وتحلقان فى فضاءات اللون  
الرمادى الذى يسكب أحزانه فتنساب رقراقة فى شوارع مدن هجرك  
الفرح فيها .

أربع سنوات وقلبك لا يلرم صدرك . تستعطفه ليعود ويهنا بالك فلا  
يفعل ، ويظل يجري ويجري ليعود الى أهله فى السباسب العليا من هذا  
انوطن الذى تحبه بلا مقابل .

أربع سنوات بلا أهل ولا وطن . <http://Archivebeta.com>

قد تكون الدنيا هناك جميلة ، ولكنها فى عينيك لا تساوى نبتة حلفاء  
كالحة طلعت فى تربة السباسب التى لا تزال آثار قدميك مرسومة عليها .

أربع سنوات من الغربة . والضباب والغيوم والمطر . ما أكثر المطر  
هناك ! لو كان المطر ينزل فى بلادك بذلك القدر لكان وطنك جنة . ومع ذلك  
فوطنك جنتك مهما شح المطر وجفت الارض .

أربع سنوات قضيتها كقصبة تأخذها الرياح هنا وهناك ولا جذور ولا  
أوراق . كنت شجرة غريبة لا تزهر الا فى أرضها ولم تكن تلك الارض  
أرضك ولا الشمس التى تطلع نادرا شمسك ، ولا غروبها غروبك ولا الناس  
تربطك بهم وشائج قبرى .

شمسك التى تعشقها كانت بعيدة عنك وكان قلبك يقطع المسافات البعيدة  
ليراها تملأ سماء السباسب العليا .

شمسهم هناك كانت شاحبة هزيلة بلا حرارة ، وكنت - عندما تراها  
نمر فى السماء فاترة كثيبة - يزداد شوقك الى سماء بلادك الصحاحية  
على الدوام .

أربع سنوات وما أطول السنوات ! وما أشد مرارة الساعات ! الارض  
ترفضك والوجوه تشمئز لرؤيتك وأنت ذو الشعر الاسود المجعد والشاربين  
الغليظين ، أنت ذو الملامح السمراء ، تمشي على قلوب الناس فى تلك  
البلاد ، نفوسهم ملأى غيظا عليك وعيونهم تنغرز فى كل خلية من جسمك  
النحيل ولا تدري لماذا يحقدون عليك .

أربع سنوات وأنت تتنقل بينهم كحيوان موبوء ، يرفضون الاقتراب منك  
وتفر نساؤهم كالشياه لرؤية الذئب اذا أحس أنك تسير على مقربة منهم .

ما أضيق العيش هناك ! وكم تشتاق الى السباسب العليا ، وهوائها  
الصافى ، وأرضها السمراء بلون وجهك !

أربع سنوات . وما أطول الليل هناك ! وأنت وحيد والبرد هناك لا  
يرحم ... كل الغرف متشابهة هجرها الدفء وحلت بها الوحشة وسكنتها  
الأطياف .

الهواجس كانت تتكدس عليك فتضنيك ، وقلبك المسافر دوما يهيم وراء  
البحر لياقئ الأحبة فى أماكن يعرف طريقها جيدا ، وينبعث من نفسك  
وجيب يتردد صده فى أركان الغرفة الرطبة المقرورة .

أربع سنوات ، وشعرك الاسود المجعد وشارباك الغليظان ، وملامحك  
السمراء لعنة تلاحقك أينما حللت .

كيف الخلاص من هذه الاشياء التى تميزك ؟ هل تهرب من نفسك ؟ والى  
أين المفر ؟

السباسب العليا مرسومة على وجهك ، وملامحك صورة رسمت فيها  
الواحات والزياتين ، وصحراء بلادك ، وشواطئ وطنك الذى تشتاق اليه

نفسك وتود أن ترتمي في أحضانه . وجهك من تلك البلاد البعيدة التي  
يكرهون أهلها ولا سبيل الى الانكار ، وجهك لا يساوي إلا وجهك ، وجهك  
مرآة يرون فيها كل أبناء وطنك ويرغبون في كسرها .

ولأنك تحمل هويتك في وجهك ، ظلت كرامتك مهدورة وحقك ضائعا .  
وظلمت تبحث عن مكان يعترف بوجهك ويأويك دون أن يعبرك ، ويضمن لك  
شغلا كريما وعيشا آمنا وحقا محفوظا .

سافرت عبر الجبال الوعرة الجائية تحت طبقات الثلوج ، وتعبت كثيرا  
وتفشى البرد في مفاصلك ولم تعثر على مكان يهنا فيه بالك وتصان فيه  
إنسانيتك .

أربع سنوات ، لا أبناء يزينون دنياك ، ولا امرأة تدفئ مفاصلك بدفئها  
وتحضن وجهك المرفوض وتنشر الفرح في غرفتك ، أطفالك في السباسب  
العليا من ذلك الوطن البعيد ينتظرون عودتك وينامون على وعود أهمهم  
بعودتك قريبا ومعك هدايا ثمينة لهم وسيارة جديدة .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

لماذا أطلت الغياب وأهمهم تشتاق الى رجوعك والاولاد يثسوا من عودتك  
إليهم ؟

أرض السباسب العطرة التي تعبق برائحة الاكليل والشيخ والزعتر  
والعرعار تحن الى لقياك . وهواؤها البارد شتاء والخار صيفا لا يزال يذكر  
أنفاسك .

أربع سنوات ذهبت هباء . ألم بك إحساس رهيب بأن عمرك يمر ، وانت  
تأخذ نصيبك من الدنيا ، وأن السنوات التي قضيتها هناك يجب أن تحذف  
من عمرك لأنك في الحقيقة لم تكن تحيا .

ولما تأكدت أن الشغل الذي تحصل عليه من حين لآخر لا تكسب من ورائه  
إلا القليل وأن بقاءك هناك بلا فائدة عدت الى أرض السباسب العليا لتملا  
عينيك وقلبك ووجدانك من ابنائك وامراتك .

عدت لتلغى سنوات الثلج والتسكع والوحدة .

عدت لتذكر تلك الغرف الباردة التى آوتك وتضحك .

رجعت الى أهلك ومعك السيارة التى وعدت بها امرأتك والاطفال سيارة جديدة ستركبها فى شوارع السباسب العليا الى جانبك وزوجتك أبناؤك .

سيارة « بيجو 504 » هى كل ما تملكه الآن .

وعند السباسب العليا التى طالما اشتقت اليها ، فقبل منازلها أو إن شئت فاخرج الى الارياض بسيارتك الجديدة واحضن نبات الحلفاء الذى كان يترأى لك أجمل من كل الدنيا ...

مرت شهور على عودتك ونفذ المبلغ الذى عدت به من البلاد البعيدة وتوقفت السيارة .

وها أنت تدوسك الوجوه فى بلادك وترفضك المقاهى وتضيق بك الشوارع ولا مفر هذه المرة من موطنك الذى يقسو عليك . لا شغل ولا مال والاطفال ينتظرون أباهم كل يوم ليعود لهم بملايس جديدة وحلوى وهدايا . ووجه أمهم فقد نضارته وعشش فيه الفقر والحرمان . وأنت ، أشعث الوجه ، كالح الشفتين ، تتنقل بين المكاتب ولا تجد شغلا فتعود منكسر النفس ممزق المشاعر .

هذه السباسب العليا ، موطنك الذى طالما اشتقت الى شمسها الحارة وحن قلبك الى نغمة الريح الشتائية الباردة فى ربوعه وهى تمسح بكفها الباردة على نبات الحلفاء وأشجار الخوخ والتفاح فتجمدها .

هذا هو موطنك وهذه الارض السمراء التى رسمت على أديمها طفولتك الهاربة .

ماذا ستفعل بالشمس والارض وبالحلفاء وبمنظر الاشجار فى حقولها وبذوي القربى ، وأطفالك محرومون من « الياغرت » والشكلاطة ومن الخوخ والتفاح وسائر الغلال وأحيانا ينامون جياعا . بماذا ستنفك هذه الارض التى لا تنبت ملايس وكراسات وكتبا لاطفالك ؟



بأى وجه ستعيش مع امرأتك التى أعيتها رحلة الانتظار وذهبت بزهرة شبابها وبدا وجهها منطفئا يبوح بالحرمان ، وبين أطفالك الذين تنقصهم أشياء وأشياء ؟ وجهك ما عاد يطيق وجهك ونفسك تغلي على نار نفسك ولا مفر مما أنت فيه البيت والسباسب والوطن الذى يأبى أن يمنحك الحياة الكريمة ، كلها الآن لك ، كان بالامكان أن نكون سعيدا ، لكنك عندما تعود الى البيت وتشاهد وجه امرأتك وتتأمل ملابسها ، وترى أطفالك يناهون جياعا ، تحس بالحرق فى صدرك وتغيم الدنيا فى عينيك وتود أن تفعل أى شئ وتجد نفسك عاجزا ، فتخفي غصتك وتوارى وجهك .

- أنا أمنحك فرصة الحياة الكريمة .

ويرقص قلبك فى صدرك وتهتز مشاعرك جذلى . وتصفو الدنيا فى عينيك.

- كيف ذلك بالله عليك ؟

- ألسنت تريد شغلا قارا ؟

- أقبل أى شغل .

الفرح المسافر عاد يدغدغ وجدانك يا ابن السباسب الذى انهكه السعي بين المكاتب ، والغيوم التى على وجهك بدأت تنقشع ، وعيناك الغائرتان تبوحان بفرحة كبرى .

- ولكن أين سيارتك ؟ هل بعته ؟

- لم أفعل ذلك بعد ، لاننى لم أدفع معلوم القمارق .

- أدفعه أنا وتبيع لي السيارة ؟

« لماذا تفرط فى سيارتك التى دفعت فى مقابلها أربع سنوات من عمرك . ألم يقل لك : إنه سيجد لك شغلا قارا ؟ لن تحتاج بعد ذلك الى ثمنها فلا تتعجل بيعها حتى تتأكد من صحة وعده » .

- ولكنني فى صورة حصولي على شغل ، لن أبيع السيارة .

- وإذا كان لا بد من بيع السيارة للحصول على هذا الشغل ؟

« انه يساومك على السيارة • يساومك على أربع سنوات من عمرك ضاعت هباء ، أربع سنوات بلا أهل ولا وطن ، أربع سنوات وثلوج البلاد البعيدة تحفر فى عظامك » •

– فى هذه الحالة أوافق ، وكم تدفع ثمننا ؟

– أدفع الشغل الذى سأجده لك .

– هل تعطيه أربع سنوات من عمرك رشوة ؟

ومن يقول لك : إن الشغل الذى وعدك به مضمون وقار ؟ وحتى لو كان صادقا فى وعده فالثمن باهظ والسيارة قطعة من عمرك وأطفالك أولى بها •

تحس أنه يريد أن يقطع منك شيئا سيظل يعذبك ما حييت • وتحقد على كل أبناء • السباسب ، كنت تجهل أن فى موطنك أناسا يعيش بعضهم من دماء بعض .

هذا الرجل يريد ان يشرب دم السنوات الصعبة من عمرك يستبيح دمك ويساومك فى ذلك ، وإذا لم ترضخ فلك الله ولك الشوارع التى تعبت من قدميك .

بماذا تجيبه وأنت إن قبلت خسرت وإن رفضت خسرت أى الخسارتين أخف ضررا ؟ السيارة تقدر بمبلغ كبير والشغل لا يقدر بمال ولو رفضته فقد لا تجده فى أى مكان آخر ...

بعد أيام دست على أشياء كثيرة فى صدرك ووضعت حدا للتردد الذى ظل ينهش قلبك وسلمت وتسلمت .

لم يدخل جيبك مليم واحد ولكنك لم تندم بعد ما أمضيت عقد البيع وتحولت الاوراق باسم الرجل .

وخيل اليك أن جل السيارات وكثيرا من الممتلكات والمنازل الفخمة حصل عليها أصحابها بالمراوغة وبأساليب غير شريفة •

وتساءلت : ما معنى أن يكون الانسان شريفا ؟ واهتديت الى أنك لست شريفا ما دمت تدفع سيارتك رشوة ، وأن الكادحين الذين يزعمون أنهم لا يملكون إلا الشرف قد يذبحونه على عتبات بيوت الاعيان من أجل لقمة عيالهم ،

وأن الثروة والحياة اليسيرة لا تطرقان الابواب دون موعد سابق ، وفي كثير من الاحيان تشتترطان أن يهدر الشرف .

واقتنعت بأن الحياة صراع من أجل البقاء ، والغلبة للاقوياء الذين فهموا جيدا قانون اللعبة . ولذلك كان في الدنيا أغنياء وفقراء ...

... ولم تستمر على تلك الحال طويلا ، لانك بعد أيام وجدت نفسك بلا شغل تتقاذفك الشوارع وتضربك الجدران .

كانت الامور مرتبة مع مدير المؤسسة التي حسبت أنك ستعيش من خيرها ما دمت حيا ... وذات صباح خسرت كل شيء وعدت على بيتك بلا وجه تعلن أنك لست رجلا وأن النصوص هم الرجال .

عدت تصفع نفسك بيديك وتصرخ في وجه زوجتك بأنك لست رجلا وتسألها : لماذا قبلت الزواج بك ؟

لكنها ظلت تبكي وتهدئك .

**منور النصري**

جانفي 1988 - الفصرين

## طريق

بعد أن اقتربت من ناجي العسل دون أن أفهم هدوءه أمام كل ما وقع ، سمعته يقول لى : علينا أن نتعاون على فلاحه الارض للخروج مما نحن فيه ، لم أفهم سبب ما قاله إلا أنني وافقته ، صرت أشتغل فى الحقل بحماس كبير ، لفلاحه الارض ، نكهة لا يدركونها إلا من قام بها انها أعظم من كل الحب انها روعة الحقيقة والكبرياء ربما ...

حين وصلت الى الحقل هبت ريح علية فيها الكثير من رائحة البحر فاحسست بنشاط يعترينى ، إننى أشعر به يوميا فى الحقل ، لأننى حين أعود الى المنزل أترك النشاط وأعود منهوك القوى ، لذلك السبب أجد النشاط فى كل يوم ينتظرنى فى الحقل ، شعرت بهذا بعد أشهر من تعودى على فلاحه الأرض .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

قد صادف أننى لم أذهب الى الحقل لسبب منعى فقضيت كامل اليوم كاسف البال منهوك القوى .

علق أبناء البلدة على ذلك بقولهم : « ... أصبح يحب الارض كثيرا ولم يعد يستطيع فراقها يوما واحدا . أحب الحب فى الارض فأحبته الارض .. »

إننى أشعر بسعادة كبيرة كلما تأكدت من قيمة عملى . الخبراء قالوا : هذا المكان لا يمكن أن توجد فيه بئر ماؤها حلو . وأنا راهنت على ايجاد بئر حلوة الماء فى هذا الحقل . حقل ناجى العسل الذى لم يقبل إدخال أية آلة اليه .

حفرت فى عدة أماكن من الحقل دون نتيجة لكننى ربحت أشياء أخرى . فبعد أن قلبت كل تراب الارض صادف أن نزلت الامطار بغزارة فحرثتها ثم زرعت القمح . والحقيقة أن كل ذلك كان بايعاز من ناجي العسل الذى تربى على المراهنة وله دراية كبيرة بالفلاحة لم أبق أنتظر نزول المطر مرة أخرى ولا



بقيت أنتظر الربيع لتخضر الأرض فأنا لا يهمني المحصول بقدر ما يهمني كسب الرهان . شجر البرتقال يتطلب ماء كثيرا . وأنا أحب كثيرا هذا الشجر .

اننى أشعر أن هذه البئر التى شرعت فى حفرها سيكون مأوها حلوا .

- السلام عليكم .

- وعليكم السلام .

أجبت من حينى دون أن أنظر .. من عاداتنا تحية كل عامل . نحييه حتى وإن كنا لا نعرفه . انها من الآداب التى ورثناها دون مناقشة أو تفكير ، لذلك أصبحنا نرد التحية حتى وإن كنا لا نستطيع تفسير كلمات الرد . نظرت فرأيت حسين نادل المقهى قادما نحوى ، صعدت من الحفرة التى حفرتها طمعا فى ايجاد الماء ، انه لم يذهب بعد الى المقهى ، لا بد ان هناك مانعا منعه بعد اعتراضنا على دفن جثة صالح المقتول فى مقبرة بلدتنا أنا وهو وناجى العسل وثلة كبيرة من أبناء بلدتنا « أنف العفة » . وبعد أن أكلت الكلاب لحم جثة صالح المقتول وتمركزت فى الطرق المؤدية الى خارج البلدة عاد كل واحد منا الى شغله الاول . كنا نظن - بادئ الأمر - أن الكلاب ستمنعنا من أية حركة لكن بعد تجولنا فى عدة أماكن من البلدة عرفنا أنها تمركزت فى الطرق المؤدية اليها لئلا تمنع من يحاول الدخول الى « أنف العفة » أو الخروج منها .

أما البحر فانه لم يحاصر بالكلاب بل رفض البحارة الخروج للصيد .. ربما يفسر أحد خروجنا بالهرب . لم نعد نأمن ما يمكن أن يقال فى « أنف العفة » .. هكذا كان يقول البحارة .

فى لحظة انتظار وصول حسين نادل المقهى إلي نظرت الى البحر . البحارة لم يخرجوا للصيد كعادتهم بعد الذى وقع فى بلدتنا محاصرة « أنف العفة » من طرف الكلاب التى أكلت لحم جثة صالح المقتول « أمر يجب إنهاؤه ثم نفكر فى خروجنا للصيد » هذا ما كان يقوله البحارة .

- لماذا لم تذهب الى المقهى يا حسين ؟

- لأن ناجى العسل قد ...

غمغم بعد ذلك بكلام لم أفهم منه حرفا واحدا . لم أفهم جوابه . كان يتحدث بنبرة منكسرة ، إنى لم ألحظ هذه النبرة منذ عرفتته لذلك تعجبت .

- ألم يأتك أحد الى المقهى اليوم ؟ ولماذا ؟

- ألم يفتحوا لك أطباق الطعام بأخبار البشر ؟

- أخبار ماذا ؟

قبل أن يجيبني سمعنا صوت ارتطام قوى متبوع بصيحة حادة . لم أنتظر جوابه وانطلقنا مسرعين، أصبحت « أنف العفة » غريبة الاطوار بعد الذى وقع . انه صوت آلة ضخمة من تلك التى يملكها صالح المقتول . لو كانت كذلك فما هو سبب قدومها الى هنا ؟ ستكون العاقبة وخيمة ان كان القصد من ذلك الدخول بها الى أرض « ناجى العسل » . اننى أعرف ناجى العسل جيدا . يرفض هذه الآلات لانها من عند « الثورة » ومازال يرفض دخولها الى أرضه رغم رؤيته للمنتوج الوفير الذى يزداد بسببها فى أرض صالح المقتول المجاورة لأرضه ورغم أن مساحة الأرض هى نفسها عند الاثنين الا أن منتوج أرض صالح المقتول يفوق بكثير منتوج أرض ناجى العسل والذى يشغل مع ذلك أضعاف العمال الموجودين فى أرض صالح المقتول .

إنه يرضى بالقليل مقابل رفضه لآلات « الثورة » والتى يعتبرها من الكفر المبين . لو كانت هذه الآلات كما ظننت . فسيموت تحتها قبل دخولها . لن يتركها تدخل أرضه ما دام حيا . أعرف عناده جيدا وشدة تمسكه برأيه هذا . وقد كسب منا حبا كبيرا لذلك . حب فيه الكثير من الشفقة .

لم نكن من أوائل الواصلين رغم أننا كنا أقرب الحاضرين . كيف وصل كل هؤلاء بهذه السرعة ؟ ربما كانوا هنا من قبل المهم تلك من عاداتنا أيضا . تكتظ بسرعة توحى أن وجود الحشد يسبق السبب .

انطلقت داخل الحشد أبعد هذا وأطلب من الآخر الابتعاد . أريد أن أعرف ماذا جرى مثل كل الحاضرين . الفضول عادة ورثناها أيضا . قبل أن أعرف ماذا وقع سمعت الطرطور يغني . والطرطور هذا رجل عادى حد الغرابة . من أبناء بلدتنا له صوت عذب . مغرم بالغناء . صريح فى آرائه . لا يجامل ولا

يهذى أيضا ، هو لا يغنى دائما ، لذلك اقترنت كل حالات غناؤه بمناسبات .  
 وكنت أظنه قد مات بعد أن غاب طول هذه المدة . إننا لا نعرف له مستقرا .  
 يظهر متى أراد ثم يغيب دون أن نعرف وجهته . وربما لو حاولنا معرفة ذلك  
 لوصلنا الى ما نصبو اليه لكن طريقته في الظهور ثم الغياب كانت تشعرنا بنكهة  
 خاصة . والاكيد أنه لم يكن يغادر « أنف العفة » ، ونحن يكفيننا ذلك حتى  
 نطمئن لما يقول ، فهو ابن « أنف العفة » وليس له من دافع كما يقول إلا  
 شعوره بالانتماء إلى « أنف العفة » .

في العيد مثلا كان يغنى أغنية صرنا نحفظها ، لقد وجدنا أنفسنا فيها ،  
 لذلك تفاعلنا معها ، لقد كان يغنى :

عاد عيدي خالعا ثوب النفاق

عاد عيدي حاملا نور الوفاق

من فؤادي صغت لحنا كاشتياقي

قدموه فرحة في الأطباق

عيدنا عاد سعيدا يا رفاق غبر فيه ونصر

مرة أخرى سمعته يغني بعد أن مات الناصر ولد صالح الحفيان أخو مبروك  
 الحفيان وصالح المقتول . أذكر جيدا كل كلمات الأغنية التي غناها . إنني  
 أشعر بحروفها جميعا في كل خلجة مني . في كل التحام مني بذاتى مع  
 صيرورة الزمن الحاضر للانطلاق .

مات الناصر محروقا وسط جابية من « الصودة » كان عمره لا يتجاوز  
 الرابعة والعشرين ، مات دون أن يترك خلفه سوى حزننا عليه . كيف نسيت  
 هذه الحادثة يوم أعلمنى حسين نادل المقهى أن صالح المقتول هو الذى كان  
 يحرض أبناء بلدتنا « أنف العفة » على رفض دفن جثة أخيه مبروك الحفيان  
 فى مقبرة البلدة. لقد قتل أخويه فأكلت لحمه الكلاب المتمركزة الآن فى الطريق.

« الصودة » مادة كيميائية تستعمل لصنع الصابون ( Acide )



دخل الناصر يشتغل في معمل الصابون بعد ان شحت السماء ترك  
الارض والنتى صارت جرداء فاستولى عليها أخوه صالح المقتول وذهب يشتغل  
في معمل الصابون الذى فتحت أبوابه فى تلك الايام كمشروع انمائى مقترح  
ومصادق عليه ومنفذ من طرف أخيه صالح المقتول « الماء قل ولا يجب أن نبقى  
دون عمل » .

طبعاً كان الأجر المقدم زهيدا لكنه وجد عددا كبيرا من طالبيه . الحاجة مذلة .  
الفقر . . المهم أن صالح المقتول أغرى أخاه بتعيينه مسؤولا عن بقية العملة  
فقبل الناصر . ربما لم يكن قبوله طمعا بل بدافع الحاجة بعد شح المطر .

بعد أن أتم صالح المقتول إجراءات الاستحواذ على أرض أخيه مات الناصر  
محروقا فى جابية الصودة . سمعت أكثر من واحد يقول : لقد قتل الناصر  
لكن نسي الامر بعد ذلك وبقي رغم كل ما وقع صالح المقتول خضار البلدة .  
لقد كان يشغل عمالا آخرين فى أعماله الأخرى ولم يقبل ترك دكانه . ربما  
لأنه يساعده على حسن تسيير أعماله الأخرى .

لم يفزع العمال من خطورة العمل بعد موت الناصر وله الحفيان لأنهم سلبوا  
حق الفزع بل قالوا : إنه قدره . أو ربما أيضا جعلوهم يقولون ذلك .

لذلك كله زاد خوفى فوجدت نفسى مندفعاً أكثر لمعرفة ما وقع . ماذا كان  
يريد حسين ؟ ربما كان فى كلامى بعض من رائحة ما يقع .

قتلتنى فرحة العشق والالتحام

مزقتنى صرخة الحق فى كل آن

فتنتنى معنتى

حطمتنى دمعتى

غلقتنى بسمتى

وخشخش فى الكلام

فاسمعوا آهاتى

واحفظوا كتابى



وسرحوا هديل الحمام  
سرحوا هديل الحمام  
سرحوا لسان الانسان .

بقى الجميع يستمعون الى الطرطور بدهشة . هكذا اعتدنا اذا غنى الطرطور  
تفتعل في داخلنا عدة أسئلة ، اننا نجد فيه كل ما يشدنا .

تذكرت أنني أردت معرفة سبب كل هذا الذى يقع فارتعدت فرائصي خوفا  
صحيح أنني لا أخاف دائما لكننى تعودت على الخوف من أمر لا أعرفه . بعد أن  
تمركزت الكلاب الاكلة لجثة صالح المقتول فى الطرق المؤدية الى خارج بلدتنا  
« أنف العفة » وحاصرتنا وسط بلدتنا صرنا نشعر باختناق كبير لكن ماذا فى  
أيدينا نفعله ؟ ربما أجدنى مطالباً برباطة جأش قد لا أكون مستعداً لها . ربما  
أيضا أجدنى مطالباً بمؤاساة بينما تكون المفاجأة قد أضحكتنى .

أذكر مثلاً أنني فى قيلولة أحد أيام الصيف الحارة سمعت صياح أختى .  
انطلقت مسرعا نحو الشارع والخوف يحركنى لأننى لست متأهبا لما سأتلقى .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

قبل وصولي اليها أذهلني ما رأيت فضحككت . ضحككت .. ثم ضحككت حتى  
احسست بألم فى بطنى فوقعت على الارض دون أن أنقطع عن الضحك .

غضبت أختى من ضحكى الذى لم تفهم سببه فلطمتنى وهى تقول بانفعال  
باد على صوتها المرتفع :

... ما الذى أضحكك .. ؟ لماذا تضحك ؟

لم تهدأ نوبة ضحكى . أفقدتنى المفاجأة كل سيطرة على أفعالى ، فتواصل  
ضحكى .

تعبت أختى فشرعت فى تقبيل حتى هدأ انفعالى . عندها قلت لأختى  
بصوت متقطع .

- لأن .. صياحك .. فى غير محله .. يا ..

لم تنتظر إتمام ما كنت أنوى أن أقول بل صاحت بانفعال :

– لقد أخافني .

أذهلني انفعالها فقلت بصوت خفيض .

– ما دام قد أخافك ، كيف فكرت في كيفية الوقوع ؟

لماذا وقعت على بطنك ورفعت رأسك ويديك الى فوق ؟

أجابتنى بسرعة جعلتنى أظن أن جوابها أحضرته قبل سؤالى لها :  
 « ... لانى خفت على البيض الذى فى يدي أن يتشم ... زد على أننى من  
 أبناء « أنف العفة » ولا أقبل المذلة حتى وان وقعت » .

عندها نظرت الى الارض . فرأيت بيضتين لم تنهشهما . لقد حافظت على ما  
 تملك بكل اصرار . خافت على البيض ولم تخف على وجهها . اصرار غريب  
 على الاحتفاظ بما تملك واعتزاز كبير بانتمائها الى « أنف العفة » وتشبثها  
 بعاداتنا منذ الصغر .

لم أفهم سبب خوفها . لماذا خافت ؟ لماذا خافت حتى وقعت ؟ ووجدتنى  
 أسألها باندفاع : لكن .. ما سبب خوفك ؟

أجابتنى ثانية بسرعة أذهلتنى أكثر : <http://ArchivebeetSakhril.com>

لقد أخافنى ذلك الرجل القديم .

ضحكت هذه المرة من غرابة ما سمعت ، نظرت الى الرجل المشار اليه ثم  
 قلت وضحكى لم يهدأ :

« ألانه شيخ مسن تقولين إنه رجل قديم »

سامح أمى التى تربى اختى على هذه الخرافات .

لقد كانت تريد منعها من الخروج الى الشارع بهذه المخاوف . وطبعا انطلقت  
 على اختى الحيلة. أما الآن فقد تغير كل شئ فى « أنف العفة ». صرت لا أستطيع  
 فهم ما يقع فيها . أنف العفة أصبحت غريبة عنى أو ربما صرت غريبا فيها .  
 وهذه الغربة قاتلة ، فإن أكون غريبا فى « أنف العفة » هذا ما لم أفكر فيه  
 ولا خطر لي على بال أبدا . مثل خوفاي الآن تماما . الطرطور يغني . زهور  
 الحاضرين يزداد . عدد المكتظين يتفاقم .

ونحن لم نعد نعرف ما يجب علينا فعله ، لقد كان غناء الطرطور يفجر فينا أسئلة كثيرة . كنا نشعر بعزة كبيرة واندفاع أكبر عند سماع صوته . أما الآن فأننى أرى علامات غريبة على وجوه الحاضرين . علامات لم ألاحظها على وجوههم من قبل .

وجدتني مندفعاً بأكثر من حب الفضول الى معرفة ما وقع . هذا ناجي العسل يقول منذ الصباح الباكر : « ... خوفي عليه يخيفنى . ربما يفقده الخبر حركته .. » سمعت هذا الكلام من ناجي العسل الذى يؤمن بضرورة ذكر الأمور الطيبة فى الصباح حتى نضمن حلاوة اليوم . حتى ناجي العسل صار يخبئ عني عدة أمور بعد أن كان يصارحنى بكل ما فى صدره . ناجي العسل بعد أن عاد من دفن صديقه مبروك الحفيان تغيرت فيه عدة أمور الى درجة شكى فى أن يكون العائد شبه ناجي العسل وليس هو ذاته . أصبح كثير الصمت والبكاء . لم أستطع قبول تغير الواحد من نكران البكاء نهائياً الى مدمن عليه . فهل أن « أنف العفة » التى ولدت فيها هى نفسها الآن وهل أن ناجي العسل الموجود بيننا الآن هو ناجي العسل ناعي البلدة الذى لا يعرف البكاء أبداً .

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

بسبب ذلك وغيره كنت طوال الأيام التى مضت متقبض البال ، لابد أن وراء الخبر فجيرة . لا بد أن هناك أمراً هاماً يخفيه عني ناجي العسل .. ما هو ؟ ...

ثم ماذا كان يريد أن يقول حسين نادل المقهى ؟ ما الذى أراد أن يعلمني به ؟ لقد دخل الحقل وأتاني مخصوصاً . لماذا ؟ ربما كان هناك خيط رابط بين ما أراد قوله وما يخفيه عني ناجي العسل . هل عاد أصفياء وخدم صالح المقتول الى مشاغبتة ؟ أو كان الامر كذلك فسأحققهم عن آخرهم . جميعهم جنباء ومداهنون . لكن الذى وقع الآن .. هل له صلة أيضاً بما سبق ؟ ربما . كل شيء ممكن بعد أن فقدنا ارادة العيش كما نريد . فقد تغيرت طباع كل أبناء بلدتنا « أنف العفة » بعد تمرکز الكلاب الاكلة للجم جثة صالح المقتول فى الطرق المؤدية الى خارج البلدة . كل الامور تغيرت وغلقت بالغرابة عما كنا نعرفه .

وجدت نفسي بعد أن دفعت هذا وذاك : أمام ... لا أستطيع تحديد ما رأيت .. أذهلتني المفاجأة فاستدردت ثم ارتيمت في عنق من قابلني . ربما كان من الاجدر بي أن أقوم بفعل يكون أجدى وأنفع من التراجع لكنني فقدت كامل سيطرتي على هدوء اعصابي . إنني لم أكن أتوقع هذا أبدا . إنه حقيقة أمر يدعو الى .. الصمت .

مات ناجي العسل . رأيت جثته وقد تخثر دمها بالتراب . ما هو سبب كل ذلك يا ترى ؟

فى القلب لوعة يا ناس

فى الصدر آهة لا تقاس

خير الاحبة فعلة

تمحو من القلوب النعاس

فى القلب لوعة يا ناس

فى الصدر آهة لا تقاس

كل الدموع يا لوعتى

لا تقتلع من قلبى القصاص

فى القلب لوعة يا ناس

فى الصدر آهة لا تقاس

كل الاحبة هاجروا

قلب المحب بالاختلاس

فى القلب لوعة يا ناس

فى الصدر آهة لا تقاس

هكذا سمعت الطرطور يغني بعد أن رأى مثلي ما وقع . إنني الوحيد الذى يعيش فى « أنف العفة » . يعيش بصوته . يعيش بمواويله . الطرطور هو الوحيد الذى يحركنا صوته . مواويله تنفذ الى دواخلنا دون اصطناع .

أشعر بحاجة ملحة الى فعل أمر ما . لكن هل أستطيع رد ما وقع ؟



حين مات سالم القواد مثلاً • لم يحزن الطرطور • لم يحزن لان الميت كان قوادا • فقد غنى بصوت حرك فى داخلنا كل الكلام الذى كنا نريد قوله :

... الحقد فى العيون

يسأل الجفون

عن لحظة البروز

القيد فى القلوب

يسأل الصدور

عن قفله المبروز

إن غناه يزيد فى اعتزازى بالانتماء الى « أنف العفة ». صحيح أننى لا أذكر فى حياتى مرة واحدة بكيت فيها قبل أن يحدث ما حدث فى « أنف العفة » لأننى أومن أن البكاء مهزلة • لكن عند سماعى لغناء الطرطور هذه المرة اكتشفت معنى البكاء فحتى حين بكيت قبل الآن أمام البحر يوم حمل ناجي العسل وشعبان الشحاذ جثة مبروك الحقيان • يومها نزلت دموعى دون أن أفهم معنى البكاء • الاكيد انه لعدم بكائنا سبب رئيسى فى ما حدث فى « أنف العفة » فالبكاء ليس مهزلة فقط ... إنه مفتاح قفل العيون • إنه ... بداية فتح ما فى الصدور • إنه ...

شعرت بكل الأنظار تراقبنى فحاولت كبت دموعى • حتى الطرطور أصبح يحدجنى بنظراته وهو يغنى • لكننى لم أفلح حينما رفعت رأسى أتفرس فى وجه الجسد الذى ضمى فاذا هو ... لقد قلت من قبل : « إن هذه الرائحة ليست غريبة عني ... »

إنه جسد صديقى حسين نادل المقهى الذى اتفقت معه على تنفيذ خطة لتخليص بلدتنا « أنف العفة » من محاصرة الكلاب المتمركزة فى الطرق • فلماذا أصبحنا مشاهدين سلبيين لما يحدث فى البلدة • لماذا لا نحاول الحركة؟ فلأترك الدهشة واحتضان هذا الجسد لأحاول القيام بما يجب أن يفعل للخروج مما وقع •

وجدتني أدفع من كنت أحتضن بعيدا . لن أهرب مما يحدث بعد الآن ،  
سأسعى الى التغيير . فهل بعد غضبي من نظرة صالح المقتول لى يوم سألته  
عمن يكون الميت أجدني الآن أهرب مما يحدث لأحتضن صديقي حسين . لقد  
تغيرت « أنف العفة » .

وقبل أن أتحرك سمعت صوت حسين :

— ... رياض القلب أرحب من كل العالم .

— ... لا .. لا يا حسين العالم أرحب . العالم أرحب .

— ... بماذا ؟ بهذه الاخبار الخائفة ؟

— الاخبار الخائفة أرحب من الموت . فـ « أنف العفة » يجب أن تبقى وتزال  
عنها رقابة الكلاب المتمركزة في طرقاتها وذلك لن يكون الا بعملنا . فـ « أنف  
العفة » سنصنعها من جديد . والجديد يجب أن يكون أحسن ومن صنعنا نحن  
أبناء « أنف العفة » .

لست أدري من أين جاءتني هذه الكلمات . وجدت نفسي أجيب بعد أن  
رأيت الطرطور يغني وهو ينظر إلي . لقد شعرت من نظرتة بالارتجاف . لقد  
أشعرتني نظرتة بارتعاش الحلم الذي في داخلي :

مرة أقداح كأسى

مرة أحلام الناس

غاب عهد النواح

فات عصر الرباح

الطرطور يغني ... ويغني ... وأنا ...

فى تلك اللحظة سمعت صياحا ظننته فى البداية هاجسا من حكاية أختي  
الصغرى لكن حين أصخت السمع تبينت أنه كان لامرأة .

استدار نظرى الى مكان الصياح فوجدتني أجرى مثل غيرى . لست أدري  
لماذا فعلت ذلك . لكننى جريت والخوف فى داخلى يزداد وقدرتى على التفكير  
تنقص .

ربما جريت هروبا مما رأيت من قبل . ربما . . . ربما أيضا فضولا مني .  
المهم أنني لم أفهم شيئا مما يحدث ولا أنا فى حالة تساعدنى على التفكير فى ما  
يجري . سابقا كنت أخاف من كل أمر لا أعرفه . أما الآن فأننى خائف من  
أمر أراه كيف يحدث دون أن أفهمه .

حين وصلت الى المرأة ، رأيت . لا . . . أنا لم أر شيئا . إننى لا أصدق ما  
أرى . أنا لم أعود على رؤية هذا فى بلدتنا . لذلك لا أصدق ما أرى . لكن  
الامر واضح أمام عيني .

حقيقة لم أعد أفهم شيئا مما يجري . صحيح أننا بدويون فى حياتنا . لا  
نؤمن بالتروى ، ودراسة الموضوع من كل جوانبه ومحلوله تصور ما يمكن أن  
ينجر عما سنتقوم به ، تحسبا لكل النتائج وخاصة السلبية منها . لا . . .  
نحن لا نؤمن بكل ذلك . لا نؤمن بالانكسار قبل الفعل . نحن لا نتردد .  
التردد جبن . نقوم بتطبيق ما نريد . ثم نفكر فيه . نساهم فى الفعل ثم  
نحاسب أنفسنا . لاننا نعشق الاندفاع . مثلا أنا أقوم بنفس الفعل . لم  
أسأل أحدا من الحشد عما يجري لكنى معهم فى كل ما يفعلون . بل أشعر الآن  
بارتياح كبير لما أرى . صحيح أنني لست القائم به . لكن ما أراه الآن تمنيت  
وقوعه منذ مدة كبيرة لايماني أن ذلك من شأنه أن يعيننا على الخروج مما وصلت  
اليه حالنا فى « أنف العفة » . بلدتنا التى وجدنا فيها العزة بالنفس والكبرياء  
مع عدم البكاء من الامور التى يجب علينا وراثتها . بلدتنا « أنف العفة » التى  
ورثنا فيها كل هذه الاشياء ثم أصبحنا كثيرى الذهول أمام ما يحدث . إنها  
« أنف العفة » كما أصبحت . فليتها لا تنقطع عن ضربه .

أعرفه جيدا . يتملق أصحاب الجاه . ينافس الجميع . يكذب عن هذا ويزرع  
فى الآخر حب الانتقام . لكن مع ذلك أيضا كان الجميع يتحاشون التصادم معه  
لانه المخطط الاول لكل القرارات المسطرة على البلدة .

إنه « الوشواش » . هكذا عرفناه وعرفه الآخرون . يشي بالجميع ولا يفكر  
الا فى ما يعود عليه بالنفع حتى وإن كان على حساب غيره . بل هو يجد نكهة  
خاصة فى ذلك . لكننا لم نكن نعلم أبدا أن زوجته كانت تربط رجله  
لتضربه .



المذلة عار ، الاذلال انتقام ، لكنه لا يفقه ذلك ، لا يشعر به لأنه ليس من أبناء بلدتنا « أنف العفة » وربما هو لذلك لا يعرف معنى الاعتزاز بالنفس فهو زوج زهرة بنت وحيدة الهجالة . وطبعاً كان من المفروض عليه السكن في بلدتنا « أنف العفة » لان لا أحد منا أبداً يقبل الخروج من البلدة .

وجدت نفسى أحاول الفصل بين الزوجين حتى نجحت فى إبعاد زهرة فحاولت تهدئتها بأن صمت قليلاً وأنا أنظر إليها ثم سألتها :

— ... لماذا ؟ ... لم كل هذا الانفعال ؟ لا بد أن الامر فى غاية الاهمية ؟  
إنى لم أعد أفهم شيئاً .

نظرت الى زهرة فاغرورقت عيناها بالدموع دون أن تنزل من عينيها دموعاً واحدة . أصبح فى عينيها بريق كبير صيرني ارتعش . ودون ارادة منى ، ارتمت فى أحضانى فضممتها إلي . ضممتها دون أن أفكر فى أحد . انها جارتنا التى كنت أنوي الزواج بها . إنها زهرة بنت وحيدة الهجالة . تقدمت الى خطبتها فرفضتني أمها لفقرى . لم أكن يومها قد شرعت فى العمل لصغر سنى . بعد زواج زهرة مرضت كثيراً ومرضت هى وبعد شفائى أصبحت جزارا دون أن أستطيع الزواج من غيرها . وربما يكون شعورى بعزة النفس الموروثة السبب الرئيسى فى عدم زواجى . فقد سمع كل أبناء البلدة بخطبتى الى زهرة ورفض وحيدة الهجالة لي . لذلك لم أحاول خطبة فتاة أخرى وأيضاً للحب العنيف والكبير الذى كنت أشعر به رغم زواج زهرة . وربما كنت لذلك كله أكره « الوشواش » أكثر من جميع أبناء بلدتنا . وقد شعرت الآن وأنا أرى زهرة تضرب « الوشواش » بكل حقد العالم يفتعل فى داخلى . لذلك وجدتنى أضمر زهرة إلي . انها تشعرني بعزة الانتماء الى « أنف العفة » . تبعت فى العزيمة لصنع الافضل . فما وقع فى بلدتنا « أنف العفة » سمح بفضح عدة أمور منها استمرار علاقتي بزهرة بنت وحيدة الهجالة رغم زواجها . فهل لا تزال موجودة « أنف العفة » ؟

سمعنا الطرطور يغني فانفصلنا عن بعضنا بعضاً ليستوعب كل منا كلام الطرطور على حدة . اننا نحبه . نعشق وجوده معنا فى كل الحالات . إنه معنا .. معنا .. يغني .. إنه يغني ..



ليت الدموع يا مهجتي  
تسقي الحدود بالياسمين  
ليت العباد في بلدتي  
يسعون لصنع ما يستحيل

بعد سماع الطرطور تسللت من الحشد الذى كنت فيه ، واتجهت نحو مكان  
الحادثة الاولى . الآن أصبحت ألح على معرفة سبب ما يحدث . لم أعد أستطيع  
الانتظار أكثر . لقد فقدت السيطرة على حركاتى . ولا أريد أن أفقد تفكيرى  
فى القرار . يجب معرفة ما يحدث حتى أستطيع تحديد ما يمكننى القيام به .

ف « أنف العفة » قد دخلها البكاء والصياح والخوف الكبير . كل هذا بعد  
دخول « الوشواش » اليها والسكن فيها . سامح الله وحيدة الهجالة . لم تفكر  
الا فى المال .

لم ينته الحشد لكنني وصلت الى مكان الحادثة الاولى ففهمت عندها أن عدد  
المكتظين قد زاد .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

إنني لا أستطيع تصور ما أرى . ربما كنت أحلم . . لكن أكل هذا العدد  
من البشر يحلمون أيضا ؟ إنني لم أشاهد مثل هذا المشهد فى غير الاشرطة  
السينمائية . طالما حلمنا بذلك . . سأشكر المخرج . سأقبل شجاعته . . .

لكن أين هى آلات التصوير ؟ إنني لا أرى شيئا . لا أرى غير الحقيقة أمامي .  
لماذا داسه هذا الجرار ؟ لماذا داس صاحبه بهذه الوحشية ؟ ربما وقع بينهما  
شجار . فذهب الغضب برؤيتهما .

وحدث ما حدث .

ربما كان ذلك لكن ! ما هو سبب خصامهما ؟

اقتربت من الرجل الذى اختلطت دماؤه بتراب الارض وتلوثت بدمائه فجلب  
انتباهى جسد آخر هو جسد سائق الجرار ! أعرفه جيدا . إنه سائق جرارات  
صالح المقتول . لطالما تخاصم مع ناجي العسل لكن لم يصل بهما الامر أبدا الى  
مثل هذا . فما الذى تغير حتى قتلا الاثنان معا ؟

أردت التأكد فاقتربت من الجسد أكثر وكل جزء من جسدي يرتعش دون إرادة مني . سأسقط . لماذا قتلت هذه الارواح ؟ لماذا شوهدت هذه الاجساد ؟ أكل هذا بسبب الاختناق الذي صرنا نشعر به بعد محاصرة الكلاب لبلدتنا « أنف العفة » ؟

نظرت ورائي فاذا هو حسين يمسكني حتى لا أقع على الجثة . إنه معي . لكن لماذا لا يرحم سؤالى بجواب ؟

- ... لماذا أنت واجم يا حسين ؟
- لقد أفقدني ما حدث كل الكلام .
- لست أفهم ما تقوله ولا فهمت ما حدث .
- الكلام للاحياء لذلك لا يستحسن ذكره في المقابر .
- إننا قرب ضيعة ناجي العسل يا حسين أم تراك نسيت .
- ستصبح كل هذه السهول ... مقبرة ... لقد تقرر انشاء مقبرة جديدة بعد الذي حدث .

صعقتني ما قال فصمت . غير معقول . كيف يتركبون « الحمادة » التي أصبح يملكها « الوشواش » بعد زواجه من زهرة بنت وحيدة الهجالة ويجعلون من السهول مقبرة ؟.

لا أصدق . كيف سيحدث ذلك . موتي أهون . أنا لا أستطيع أن أرى الحقل قبرا . حقل ناجي العسل الذي صرت أفلحه بعد أن نسي الناس عادة شراء اللحم زد على أنها أرض ناجي العسل الذي يبيعني الاغنام التي أذبحها لأبيع لحمها . والآن صرت أفلحها ، أحفرها كل يوم في انتظار الماء لحيائها . فكيف يجعلونها مقبرة ؟

- حافظ على هدوئك حتى نختار القرار .
- يا حسين كيف تطالبني بالهدوء ؟ من لي في هذه الارض غير الارض بعد كل الذي وقع في بلدتنا « أنف العفة » ؟ اننى ...

الحمادة : هي الهضبة الجبلية الصغيرة .

فقاطعني قائلا : احفظ غضبك لتفجّره في أهل القرار .

وجدتني صامتا ثانية . الحق معه . ماذا فعل لي حسين حتى أفجر فيه غضبي ؟ الغضب كل الغضب على أهل القرار ! قرروا دون أن يستشيروا أحدا منا . فلماذا أفجر غضبي في حسين . يجب أن نحتفظ بغضبنا معا لنفجّره ساعة نريد . لكن ...

ووجدتني أسأل حسين بانفعال باد على نبرة حديشي :

— ... لكن ... كيف أبلغنا القرار ؟

— ... كالعادة أوصله لنا « الوشواش »

— لذلك اذن كانت تضربه زهرة ؟

— هل تقتنع بذلك حقا إن أجبتك بنعم ؟

— لماذا ضربته اذن ؟

— وأنت لماذا ضمنتها الى صدرك ؟

— لانها طيبة ... وهو ... لا يستحقها .

— ..... <http://Archivebeta.Sakhrit.com>

لست أدري ما هو سبب سؤاله . مثلما لم أعد أستطيع فهم ما يحدث في بلدتنا « أنف العفة » .

روى لي شعبان الشحاذ ابن بلدته أن زوج زهرة بنت وحيدة الهجالة كني بـ « الوشواش » لكثرة وشايته بأبناء بلدته . لكنه أيضا وبعد زواجه من زهرة بنت وحيدة الهجالة صار يشي بأبناء بلدتنا « أنف العفة » . ولذلك كنا نتحاشى الحديث أو التعامل معه . أذكر أنه عارض هذه الكنية وهدد كل من يقولها له من أبناء بلدتنا مستعملا لذلك نفوذه . لكن نتيجة ذلك كانت عكسية لان الجميع وجد في قولها مخرجا لحوفه من وشاياته .

وسمعت نفس الصوت يعيد علي مسمعي :

— لماذا ضمنتها اذن ؟

فأجبت :

— لانها دافعت عن كرامتنا ، ضمنتها الى صدرى . فليتني ...

كنت أظن أنني أكلم حسين نادل المقهى لكنني حين نظرت وجدت زهرة بنت وحيدة الهجالة زوجة « الوشواش » بجانبه . لقد سمعت ما كنت أقول . لذلك أحمر وجهي حين نظرت اليها فسمعتها تقول :

— ... لقد دافعت عن كرامتي لانني أحبكم ... إنني من « أنف العفة » رغم أنني لم أتزوج من أحد أبنائها .

وبعد فترة صمت قالت : إنني من « أنف العفة » يا ...

عندها سمعت حسين يقول : فى كل يوم أذهب فيه الى المقهى أشعر بفرحة عارمة تجتاح كياني مع انقباض داخلي بسيط لأنني كنت أشعر دائماً بأن « أنف العفة » قد تغيرت . لكنني يوم خیرت المشاركة معكم لتخليص « أنف العفة » من حصار الكلاب المتمركزة فى الطرق على الذهاب الى المقهى لأراكم ..

فقاطعته زهرة بسرعة ... لا تكمل يا حسين . فقد هرب « الوشواش » من البلدة حياء لانى ضربته أمام الرجال وأظن انه باستطاعنى الآن ...

وقاطعها حسين بقوله : يجب علينا التفكير فى حل للخروج مما نحن فيه أولا . فهل عرفتم لماذا قتل ناجى العسل ؟

شعرت بفرحة تجتاح كياني لهروب « الوشواش » فلم أعر اهتماما لما قاله حسين ونظرت الى الجثة فرأيت فرحتى فى وجوههم . هذا قرار خاطئ ، الغيناه .

شعرت أن كل واحد منا يريد أن يعبر عن فرحته بهذا النصر . انه نصر الارادة . الارض والكرامة أغلى من القرار . الارض أغلى .. الارض .

— ... سأحفر معك البئر فهيا بنا .

شعرت بفرحة كبيرة لهذا . انها أول من يشجعنى على حفر البئر بل هى تطلب العمل معي . انها ...

انقطع حبل تفكيرى وأنا أسمع الطرطور يغنى :

نلتقى قبل الرحيل



مثل نار

مثل حقد

مثل شيخ

وقتييل

مثل أشجان العويل

مثل واد في النخيل

نعلن حب الفؤاد للارض

نعلن الايادي للاعمال

نعلن حب المستحيل

عندها ضرب طبله أذني سؤال حسين : هل عرفتم لماذا قتل ناجي العسل ؟ كيف لم أستمع لكلامه بعد ذلك . ما هو سبب الفرحه التي كنت أظنها قد اجتاحت كياني وهذا ناجي العسل قد قتل دون أن أعرف سبب ذلك.

قبل أن أجد جوابا لكل هذه التساؤلات رأيت « الوشواش » قادما نحونا . لماذا عاد ؟ ونظرت الى زهرة بنت وحيدة الهجالة فرأيت استغرابي على وجهها . هل ترى أن أبناء « أنف العفة » وحدهم لا يقبلون الحياة مع المذلة . ألا يعرف غيرنا معنى الكرامة ؟

- التف به الجميع فسمعتة يقول :

- ... الاخبار وصلتنا مغلوطه . المقبرة ستكون في القطاع الآخر من البلدة . في الجبل . في الحمادة التي على ملكي . أرايتم بماذا أضحي من أجلكم رغم أنني لست من أبناء « أنف العفة » . لقد تبرعت في سبيل ارضائكم بأرض الحمادة .

« ... ياله من داهية . لقد عرف كيف يعود ... »

قامت ذلك ثم نظرت الى زهرة . لقد سمعت ما قلت . حتى تنفيذ ارادتنا يجب أن يكون قرارا وليس اصرارا منا .

لقد ضاع كل ما فعلنا . حتى ناجي العسل الذي آثر الموت على رؤية أرضه فقد الشهادة . لم يعد شهيد الارض . ياله ...

« ... يجب أن يموت القرار أو نموت نحن ... »

هكذا سمعت حسين يقول فنظرت اليه كما نظرت اليه زهرة . لماذا هي صامته هكذا ؟ لابد أنها تفكر فى أمر ما . ما هو ؟ السبب ...

لم يطل تفكيرى . فقد انطلقت نحو زوجها « الوشواش » وانهالت عليه تضربه لكن فى هذه المرة لم يبق الحشد ينظر اليها ولا ساعدها على تعنيفه بل انقض عليها الجميع يضربونها وهم يقولون :

« ... لا حق فى الحياة معنا فى « أنف العفة » لامرأة تضرب رجلا » .

عندها انطلقت صحبة حسين محاولين منع الحشد من ضرب المرأة . إنهم مجانين ... فقد تغير كل شيء . انتهت « أنف العفة » . ناجي العسل الذى نعى كل أبناء البلدة يقتل أمامهم . ناجي العسل الذى جرى دمعه حين خاف على « أنف العفة » . لم يبك أمه وبكاهم . معه حق حين نعى « أنف العفة » فى المقهى . شعرنا جميعا عندها بقشعريرة . لقد كان ينعى شخصه اذن . ناجي العسل نعى ناجي العسل ثم قتل .

أفلحنا بعد جهد كبير فى إبعادهم عنها فحملناها الى هضبة قرية كنا نقف فيها قبل الآن . وبقيتنا ننظر الى الحشد الذى التحم مع بعضه ليردد بعض الاهازيج الشعبية . لقد غاب الطرطور الآن فأين تراه قد ذهب وكيف لم يتفطن الى ذلك . لقد ذكرتني به هذه الاهازيج التى أسمعها تستغل فى غير محلها .

غريب أمر كل هؤلاء الذين نحبهم .

نظرت الى من كان معى فرأيت غرابتهم على وجوههم . لقد أصبحوا ينصرون من هو ليس من أبناء بلدتنا . كل هذا من فعل المداهنين الذين كانوا يتقربون الى صالح المقتول .

لماذا ينسون سريعا ما جرى ؟ هكذا دائما لا يتفاعلون الا مع اللحظة التى هم فيها . ينسون سريعا ما مضى ؟ ربما تكون فى ذلك بعض الميزات . فمثلا نحن جميعا لا نعرف كيف نحقد لاننا ننسى سريعا . ما عدا حقدي أنا على « الوشواش » . ورغم شعورنا الكبير بالكبرياء الذى أظن أننا فقدنا الكثير منه « الوشواش » يرفعونه على الاعناق ؟ « الوشواش » صنعوا منه زعيما وتناسوا من مات !

يوسف عبد العاطي

## توفيق بوغدير حياته وأقاصيصه

— I —

### - مقدمة :

فى هذا البحث سأتناول رجلا يعيش بيننا ، ولكن الكثيرين منا لا ينتبهون اليه ، لانهم تعودوا على أصحاب الجعجة والضجيج ، ولان هذا الرجل على تعدد مواهبه ، وتعدد اختصاصاته بقي محافظا على تواضعه ، يعمل فى صمت ، وينتج فى دأب ، دون جذب لانتباه الآخرين ، وذلك لسماحة فى أخلاقه ، وطيبة فى عشرته ، وسمو فى ذوقه ، وارتفاع بنفسه عن الدون .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

إن صناعة تقييم الرجال تقتضي منا أن نعطي لهذا الرجل حقه من التقييم ، وذلك حتى نستطيع أن نضعه فى موضعه الصحيح بين رجال الفكر والفن المعاصرين فى بلادنا .

وسيكون مخطط البحث بحسب الطريقة التالية :

— سأقدم بسطة تعريفية عن حياة الرجل وأسرته ودراسته معتمدا فى ذلك عليه هو نفسه .

— ثم أذكر خلال ذلك تخصصاته المتعددة فى الادب والرسم والنقد والصحافة والفن .

— ثم أخلص فى الجزء الثانى من الموضوع الى تحليل فرع من فروع تخصصاته البارزة هو : فن القصة ، باعتبار أن هذا المنحى داخل ضمن اهتماماتى .

وأثناء التحليل سأقدم نماذج قصصية مما كتبه الاستاذ توفيق بوغدير ، مقسما إياها بحسب تيارات رأيها فيها .

ثم أختتم موضوعي هذا باستنتاجات عن خصائص فن القصة عند توفيق بوغدير .

وأثناء تناولتي لحياة الرجل سوف لن أتعرض لاسماء الاعلام الواردة خلالها بالترجمة ، ولا أعرف بالصحف المذكورة التي نشر فيها انتاجه المتنوع : وذلك لضيق الوقت الذي أعد فيه هذا الموضوع ؛ وإنما سأرجى المزيد من الهوامش اللازمة لوقت لاحق إن شاء الله .

### – توفيق بوغدير ومسيرة حياة :

أحمد توفيق بوغدير ، شهر باسم توفيق بوغدير بحذف أحمد ، سواء في عالم الثقافة أو الانتاج الاذاعي والتلفزي .

ولد بتونس العاصمة في 1916/11/18 بنهج سيدي عبد السلام – زنقة الجلازية – حي الحفاوين .

كان أبوه تاجر كتب ، وكانت مكتبة أبيه هي المدرسة الاولى له ، إذ فيها التقى بمختلف المعارف ؛ فقد كان يخرج من المدرسة ويذهب للغداء بمكتبة أبيه لبعد منزل أسرته نسبيا عن مكانها ، فيجد نفسه في الاثناء محاطا بالكتب .

ولذلك كان في تلك المرحلة المبكرة يقرأ ما تقع عليه يده من كتب دون تفضيل لنوع منها عن آخر .

### – دراسته :

درس بالكتاب في نهج القنطرة ، قريبا من منزل أسرته أي فوق مدخل زنقة سيدي السلطان ، ومنزل الاسرة يقع في آخر زنقة اسمها زنقة الجلازية . حفظ في الكتاب قسما من القرآن .

وزاول تعليمه الابتدائي بمدرسة نهج سيدي بن عروس التي كان مديرها الشيخ محمد مناشو ، وكان مناشو هو الذي ينظم أناشيد المدرسة ؛ ومن



مدرسى هذه المدرسة أيضا المسرحي المشهور محمد الحبيب ، الذي كون فرقة الكواكب التمثيلية ، وله فرقة مسرحية ، وعن طريق رجل المسرح هذا تعرف التلميذ توفيق بوغدير لأول مرة على المسرح ، اذ كان الاستاذ محمد الحبيب يقوم بمشاهد مسرحية في المدرسة من التراث العربى . وكان توفيق بوغدير يشارك في تمثيل هذه المشاهد مثل :

### « الحجاج والشبان الثلاثة » .

من هذه المدرسة تحصل توفيق بوغدير على الشهادة الابتدائية ، وتحول بعد ذلك الى المعهد الصادقى لبضع سنوات فقط ، ثم انتقل الى المدرسة الثانوية الإيطالية ، حيث زاول فيها التعلم الى البكالوريا .

أما لماذا المدرسة الإيطالية الثانوية بالذات ، فذلك يعود الى أن والد توفيق بوغدير كان مبهورا بالحضارة الإيطالية وخاصة بماضيها ؛ وكان يعتقد اعتقادا جازما ، - وقد ظهرت بعد مطامع موسيليني في تونس من خلال مواقف وتصريحات علنية - أن إيطاليا ستحتل تونس كما كان الامر بالنسبة لليبيا. فأراد الأب أن يهيئ ابنه الى المستقبل حسب تصوره .

فى الاثناء شغف توفيق بوغدير بالخط العربى ، فحذق مدارسه عن طريق دقة الملاحظة الشخصية والتقليد ، مثله فى ذلك مثل محمد الصالح الحماسى الذى وقف عند هذا الاختصاص بينما توفيق بوغدير تفرغت اهتماماته . واحترف فى البداية الخط العربى كتابة للخوادم أو للصحف مثل صحيفة : ( تونس ) لصاحبها زين العابدين السنوسى ، وصحيفة : ( افريقيا الفتاة ) التى أصدرت فى فترة الحرب العالمية الثانية أى فى مدة الاحتلال الالماني القصيرة لتونس ، وكان توفيق بوغدير هو المسؤول على تحرير ( افريقيا الفتاة ) من أولها الى آخرها .

وفى بداية الثلاثينات ألقى توفيق بوغدير محاضرات وقراءات شعرية بالحدونية ضمن شباب مدرسى آخر، تحت اشراف الشبيبة المدرسية المسؤول عنها وقتها محمد بن عبا . وكان اسم هذا الرجل قد ارتبط فى ذهن توفيق بوغدير بحادثة تتمثل فى اعداده لمحاضرة بعنوان : ( ثورة المرأة ) ، قام هذا

المشرف على الشبيبة المدرسية بدعاية واسعة لها ، وكانت هي أول محاضرة لتوفيق بوغدير في الموسم الدراسي ، ومن جملة وسائل الدعاية ، أعدت ملصقات صغيرة على أعمدة البهو الخارجى لجامع الزيتونة ، كما أعدت كتابة بالخط - عن المحاضرة - فى جريدة ( الزهرة ) ؛ ومحور هذه المحاضرة هو : استعراض الوضع الاجتماعى الذى عليه المرأة فى تونس ، وموجة التمدن الغربى الذى يجتريها فى حين أنها ما زالت تعوزها أسباب الوقاية من تربية وثقافة ، لذلك دعا توفيق بوغدير فى هذه المحاضرة الاولياء أن يولوا البنات نفس العناية التى يولونها للولد من اعداد للمستقبل ، وذلك يكون أساسا بالتكوين الثقافى .

فى تلك الفترة بالذات كان المرحوم الشيخ عبدالعزيز الباوندى يقوم بحملة اتسع نطاقها فى المساجد بالعاصمة وخارجها هى حملة تحفيظ الاملاءات القرآنية ، أى تحفيظ القرآن بطريق السماع بدون لوحة أو كراس .

فعندما ظهر الاعلان عن محاضرة ( ثورة المرأة ) بادر الشيخ الباوندى يرد الفعل ، ودعا خلال املاءاته القرآنية الى مقاطعة المحاضرة ، وتشذيب موقف منظميها لانهم حسب قوله : <http://Archivebeta.Sakhril.com>

( - يريدون حمل الفتاة على التمرد على ذويها والخروج سافرة ، والجلوس معهم فى المقاهى ) .

وكان للملصقات المحاضرة على أعمدة جامع الزيتونة تأثيرها كذلك على طلبة جامع الزيتونة ، اذ قاموا برد فعل سلبي ، فتجمع الطلبة والاميون فى سوق العطارين وملأوا مدخل الخلدونية وسوق العطارين ، وذلك لمنع توفيق بوغدير من القاء المحاضرة ، ومنع الجمهور من دخول القاعة .

وقدم توفيق بوغدير لالقاء المحاضرة صحبة رئيس الشبيبة المدرسية محمد بن عبا ؛ فابتهج المحاضر ورفيقه بهذه الكثافة من الحضور ، لكن فوجيء الاثنان بأن باب مكتبة الخلدونية - حيث ستقع المحاضرة - مغلق ، وكان يقف أمامه حارسها الزنجي ، الذى يعرف توفيق بوغدير معرفة شخصية ، فسأله هذا عن سبب غلق المكتبة فقال له :

- إن الحاضرين معارضون للمحاضرة .

وهناك عون سري من وزارة الداخلية لما رأى المحاضر وصاحبه يتحاوران مع الحارس تقدم منهم ، ونصح المحاضر بالاختفاء قبل أن ينزل الجمهور الغاضب به وبصاحبه أشد العقاب . فانسحب المحاضر وصاحبه بناء على ذلك ؛ بعدها أخرج توفيق بوغدير مقالا فى جريدة ( الارادة ) فيه توضيح للغرض من المحاضرة التى كان هدفها أخلاقيا تربويا .

عالج توفيق بوغدير الشعر ، فكانت خطواته الاولى فيه ما نشر من زجل عامي وشعر عربى بجريدة ( الحياة ) .

والزجل الذى كان ينتجه فيه نقد لاضاع اجتماعية تسبب فيها الاستعمار .

وفى ( المباحث ) وجريدة ( النهضة ) نشر الشعر العربى الفصيح ، ومن هذه الاشعار قصيدة خاطب فيها المقيم العام الفرنسى نشرت بـ ( النهضة ) ، ومطلع هذه القصيدة :  
 هل فى حقيته شيء من الأمل

أم المزيجان من سم ومن غسل

وكان الاستعمار يعد التونسيين بالاصلاحات والمفاوضات ، وكان ذلك مجرد مباطلة منه للشعب .

كما نشر قصيدة فى جريدة : ( الحياة ) بمناسبة اطلاق سراح الزعماء من « برج الباف » ، وأول أبيات هذا القصيد :

وداعا أيها الماضي الكنود

ومرحى أيها العهد الجديد

وفى مجلة « المباحث » نشر مراثية لمحمد البشروش وكان وقتها يديرها الاستاذ محمود المسعدي ؛ وهذه المراثية قرأها أثناء تشييع جنازة البشروش ، وأخذها محبو البشروش ونشروها بالمجلة المذكورة .

وشعره وإن كان قليلا ، فان الغالب عليه :

- الطابع السياسي

- والطابع الاجتماعي

أما الشعر العاطفي فنادر عنده ؛ وقد تمثل في ثلاثة أو أربعة أغاني .  
مثال ذلك :

بيمينك صافحيني

بيسارك عانقيني

يا منى قلبي يا عيني

أنت في الحب تصافيني

ومثال الاغنية العاطفية كذلك :

من بعيد لبعيد

هذا شي ما يفيد

نحبك جنبي

نحبك قربي

أنت في هالدينا نريد

وفى نطاق الشعر شارك توفيق بوغدير فى برنامج اذاعى كان أحدثه  
نور الدين بن محمود كاتب عام الاذاعة العربية فى عهد الاستعمار بعنوان :  
( آخر ما نظمت ) .

ومن بين ما كانوا يشاركون فى هذا البرنامج الشاعر جلال الدين النقاش  
والشاعر أحمد خير الدين ، هذا الى جانب برنامج آخر لنور الدين بن محمود  
كذلك عنوانه : ( آخر ما كتبت ) ، وقد ساهم فيه كذلك بالانتاج والنقاش  
الاستاذ توفيق بوغدير .

فى ميدان النشر والمحاضرات والمقالات ، ألقى عدة محاضرات تهتم الميدان  
الفني وخاصة المسرح . وقام ببعض مداخلات أدبية فى مناسبات عديدة ، كان  
آخرها ذكرى وفاة محمد المرزوقي بقابس .



أول اطلاع الاستاذ توفيق بوغدير على المسرح كان فى المدرسة الابتدائية - كما أشرت الى ذلك سابقا - وذلك مع الاستاذ المسرحى محمد الحبيب ، الذى كان مؤلفا ومخرجا ومديرا لفرقة .

ولما تجاوز المرحلة المدرسية اكتشف المسرح أكثر عن طريق المرحوم حمودة معالي ، وهو الذى حرض توفيق بوغدير على الانتماء الى جمعية مسرحية وحضور تمارينها هى ( جمعية الاتحاد المسرحي ) ؛ وهى جمعية مستقلة جمع فيها شيخ المدينة مصطفى صفر - مؤسس الرشيدية - بين فرقة ( التمثيل العربى ) و ( المستقبل التمثيلي ) .

انتمى توفيق بوغدير - إذن - الى هذه الجمعية واتصل فيها بكبار الممثلين مثل : محمد بالتيجاني ، الذى قام بدور المارشال فى المسرحية الحاملة لنفس الاسم ، والبشير الرحال ، والمخرج الاكودي الذى استنجب توفيق بوغدير فأسند اليه أدوارا ثانوية فى بعض مسرحيات الفرقة ، مثال ذلك : مسرحية ( عبد الرحمان الناصر ) التى شارك فيها بدور ثانوى .

ودفعه تعلقه بالمسرح الى تأليف مسرحيتين للجمعية المذكورة .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

المسرحية الاولى هى : ( ضحايا الهروين ) الذى كان وقتها آخذا فى الانتشار بتشجيع من الاستعمار ، كما كان التكرورى مسموحا به وقتها .

والمسرحية الثانية بعنوان : ( الوطني المخدوع ) ، وموضوعها يدور حول مقاومة الزواج بالاجنبى . اذ عالجت زواج تونسى بأجنبية اخترع اختراعا ذا شأن ، فسرقت زوجته منه تصميم الاختراع ، وهربت الى بلادها .

وقد اكتست المسرحيتان بصبغة اجتماعية ووطنية .

وقد شارك فى الاذاعة مبكرا خلال الاربعينات ، وكانت أول مسرحية اذاعية له بمناسبة المولد النبوي بعنوان : ( الراهب بحيرة ) بعالج موضوعها اتصال بحيرة بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو طفل ، لما ذهب الى رحلة تجارية ، فنص بحيرة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وتنبأ له بمستقبل عظيم .

وقدم كذلك فى الاذاعة مسرحية سابقة من حيث تاريخ التقديم عن الاولى عنوانها : ( رمضان فى رمضان ) ، وكانت وقتها فضيلة ختمى تتولى تمثيلها هى

وعناصر من خارج الاذاعة ، وكانت المسرحية بمناسبة شهر رمضان ؛ وموضوعها يتناول قصة بطل اسمه رمضان يأتي من خارج العاصمة وينزل عند صديق له بها ضيفا ثقيلا ، فيحتال صاحب المنزل في خلق مشاكل تجعل الضيف يفضل العودة الى بلده داخل الايالة . والمسرحية فكاهية ذات طابع خفيف .

وللاستاذ توفيق بوغدير مسرحيات أخرى شهرية في مرحلة ثانية ، قدمها بالعربية في الاذاعة ، وتدوم الواحدة منها ساعة أو أكثر .

ومواضيع هذه المسرحيات تدور حول محاور اجتماعية منها أنه جعل موضوع احداها يدور حول فرقة مسرحية تقوم بجولة داخل البلاد لتقدم عروضها ، وينسحب بطل المسرحية لخلاف بينه وبين المخرج ، والذي انقذ الموقف اكتشاف المخرج لاحد المارة وهو يغني - في حالة سكر - بصوت جميل جدا ، فعوض به الممثل المنسحب ، لكن تقع الممثلة الاولى - وهي خليعة المخرج - في حب الممثل الجديد ، وهو ما يخلق مشكلة جديدة عند المخرج نفسه ، اذ انه لو حاول التخلص من الممثل الجديد فان الفرقة لا تستطيع اتمام رحلتها ، فهو اما أن يقض الطرف لاتمام الرحلة الفنية ، أو يطرد الممثل الجديد ، الذي كانت معه الممثلة الاولى في سيارة بضد مغالته واغوائه ، وكان الممثل الجديد هو الذي يقود السيارة ، فتصطدم السيارة بحاجز فتموت الممثلة عقابا لها على فعلتها ، ويخرج الممثل سالما الا من بعض الجروح .

وفي هذا السياق كتب ست أو سبع مسرحيات بالعربية . وعنده كذلك مسرحيات قدمت باللهجة العامية بالاذاعة وهي حوالي خمس أو ست مسرحيات كذلك . وفي ذلك الوقت الذي كان يقدم فيه مسرحه الاذاعي لم تكن قد وجدت فرقة تمثيلية بالاذاعة التونسية فكان الاستاذ توفيق بوغدير يؤلف المسرحية ويكتب الادوار على قياس الاشخاص المتواجدين الذين سيقومون بالتمثيل ، وهم من المذيعين والصحافيين وكان من بينهم محمد حفطي ومحمد علي بن سالم ، ومليكة بن خامسة وزوجها الهادي بن خامسة وأخوها ، وناجية ثامر وغيرهم .

وكان بحكم وجوده في الاذاعة ومعرفته الشخصية لهؤلاء ، يعطي لكل واحد منهم الدور المناسب له .

وكان الاستاذ توفيق بوغدير من المساعدين على تحويل مسرح الهواة المحلي بقربة الى مهرجان جهوى ، ثم قومي ، مع اسهامه في اعداد برامجه ونشرته اليومية ، ومشاركته في بعض لجانه التحكيمية ، وذلك الى جانب الرجل المحرك لهذا المهرجان ومؤسسه - مع رفاق له - السيد حسن الهرثلي .

كما أنه كان عضوا انتخبه السيد الشاذلي القليبي - لما كان وزيرا للشؤون الثقافية - انتخبه عضوا في اللجنة القومية للتوجيه المسرحي على مدى 12 عاما .

### - توفيق بوغدير الرسام الكاريكاتوري بالرسم :

ويرجع اهتمام صاحبنا بالرسم الكاريكاتوري الى عهد الدراسة ، اذ كان كراسه لا يخلو من رسوم ساخرة لبعض زملائه أو للمعلم الذي يدرسهم .

وعندما اشتد عوده في هذا الميدان شارك برسوم لشخصيات سياسية تونسية وفنية في جريدة ( الوطن ) لصاحبها محمد بن فضيلة الذي هو صاحب جريدة ( الحياة ) آنفة الذكر ، فجريدة ( الوطن ) خلقت ( الحياة ) .

كما مارس الرسم السياسي ، من ذلك رسم كاريكاتوري ضد الاستعمار الفرنسي كلفه حكما بالسجن لمدة ستة أشهر مع تأجيل التنفيذ ، وشمل هذا الحكم أيضا مدير جريدة ( الوطن ) .

والرسم الذي حرك سواكن الاستعمار يمثل محطة بنزين ، خزان البنزين له بابان مفتوحان ، كتب على الباب الاول : دم تونسي ، وكتب على الباب الثاني : خيرات تونس .

الانبوب الذي يصل هذا الخزان بالسيارة عادة ينتهي في الرسم عند فم رضيع مضطجع في عربة صغيرة تقف وراءها أم ، تظهر على رأسها طاقة عليها شعار الجمهورية الفرنسية .

والرسم بامضاء توفيق بوغدير ، وهو ما جر له الحكم المذكور .

### - توفيق بوغدير الرسام الكاريكاتوري بالكلمة :

أما الكاريكاتور بالكلمة فكان يرسمه في الصفحة الاولى من جريدة (الفرزوزو) الهزلية النقدية التي كان يديرها المرحوم الهادي العبيدي ، ويتمثل ذلك في مقال يتصدر الجريدة بعنوان ( شكشوكة عالمية ) .



### – توفيق بوغدير الناقد الثقافي :

بحكم احتكاك الرجل بالمرح وممارسته له جعله ذلك يتصل بفنانين في ميادين أخرى من المتعاملين مع المسرح كالرسامين للديكور والموسيقيين في المسرحيات الغنائية ؛ ولكنه ذلك من الاتصال – في مرحلة ثانية – بالسنمائيين الذين كانوا ينتقون من بين الممثلين الممتازين يسندون اليهم أدوارا في الافلام .

فالمسرح أنقذ صاحبنا الى هذا كله ، وهو ما جعله يضيف الى اهتمامه بالمسرح اهتمامات بالفنون التشكيلية ومعارضها ، فشارك في لقاءات ودورات لرجال هذه الفنون وحتى في بعض لجان اختيار اللوحات المرشحة للفوز بجائزة بلدية العاصمة .

وكان بحكم المتابعة المستمرة لهذه النشاطات ينشر في جريدة ( النهضة ) – لمديرها الشاذلي القسطل – الذي مات مقتولا من قبل أحد الوطنيين لترشيحه نفسه ليكون مساعدا لرئيس بلدية العاصمة ، وذلك لخروجه عن أمر الحزب الذي دعا الى مقاطعة الانتخابات البلدية المزيفة – كان بوغدير بحكم المتابعة ينشر :

**أولا : النقد المسرحي :** بجريدة ( النهضة ) ، وعلى سبيل المثال انتقد مرة مسرحية طارق بن زياد لمؤلفها المرحوم محمد الحبيب نقدا فنيا وتاريخيا في الجريدة المذكورة ، وفي الوقت نفسه انتقد هذه المسرحية المرحوم حسن الزمرلي – مؤسس مدرسة التمثيل في تونس – في جريدة ( الزهرة ) ، فلم يرد محمد الحبيب الفعل بمقال في واحدة من الجريدتين : ( النهضة ) أو ( الزهرة ) ، بل كان رده على الناقدين مشهدا تمثيلا قدمه للجمهور قبل عرض مسرحية موالية لمسرحية طارق بن زياد تقريبا هي مسرحية : ( الواثق بالله الحفصي ) ، في هذا المشهد يمثل شخصان يرمز بهما محمد الحبيب الى الناقدين : بوغدير والزمرلي – يمثلان حوارا نقديا للمسرحية الآنف الذكر ، ويدخل عليهما شخص ثالث يمثل محمد الحبيب نفسه فيرد عليهما بما يفند كل ما ذهب الناقدان اليه من نقد للمسرحية ؛ وكان هذا الرد الاول والوحيد من نوعه في تونس يقوم به مؤلف مسرحية ردا على نقد صحفي لمسرحيته .



ومارس توفيق بوغدير النقد المسرحي كذلك فى جريدة ( العمل ) وعلى سبيل الطرفة فان ( جمعية أنصار المسرح ) لتتجنب نقد توفيق بوغدير فقد انتخبته كاتبا عاما لها فى هيئتها المديرة ، لكنها عندما قدمت مسرحية طارق بن زياد الآتفة الذكر على المسرح البلدى ، كان مستوى العرض ضعيفا جدا اخراجا وتمثيلا فتناولها صاحبنا بالنقد ، وكانت النتيجة أن عزلته الهيئة المديرة للجمعية من مهامه التى أوكلتها اليه .

### ثانيا : النقد الفني :

مارس النقد الفني بجريدة ( العمل ) كذلك ، وكان توفيق بوغدير قد دخل الى العمل فى هذه الجريدة اثر انسحابه مع الحبيب الشطي من جريدة الصباح لما انضمت الى صالح بن يوسف .

وكان مواكبا للعروض الفنية التى تقوم بها الفرق الموسيقية المحترمة مثل فرقة « المنار » بقيادة رضا القلعي ، وفرقة ( نجوم المنار ) المتفرعة عنها .

وفى مرحلة ثانية واكب بالنقد أعمال فرقة حسن الغربي ثم فرقة الاذاعة الموسيقية ، وواكب خطوات المطربة نعمة فى بداياتها الى أن أصبحت نجمة لامعة فى الغناء ، كما واكب بالنقد تصاعد نجم المطربة علية ، وعروض فتحية خيرى على قلة تواجدها بتونس ، اذ أن أكثر أوقاتنا كانت تقضيها بالمغرب الاقصى .

كذلك واكب بالنقد والتعليق المهرجانات الموسيقية التى تنظم بمناسبة مثل مهرجان صليحة الذى هو فى لون أغاني صليحة محتوى ولحنا .

وكان نقد توفيق بوغدير يشمل الحلل الظاهر فى العزف وفى انسجام العازفين ، وقيادة الاوركاستر والاداء والحضور الركحي للمطرب أو المطربة وسرقات المحن وتركيبه الاغنية من الناحية الجمالية والتعبيرية ، كما انتقد الناحية السلوكية للفنانين : الادبية منها والمادية .

### - الموسيقى :

وفى نطاق متابعة توفيق بوغدير للفنانين وتشجيع المجيدين منهم ، وبمناسبة شهر رمضان وباقتراح من صالح المهدي - وكان اذ ذاك رئيس

مصلحة الموسيقى بوزارة الشؤون الثقافية - تبنت جريدة ( العمل ) عندما كانت تحت ادارة السيد فريد السودانى مشروع جائزة لأحسن ( أغنية ) تقدم فى شهر رمضان كلمة ولحنا وأداء .

وتشكلت لهذه الغاية - وبسعي من مدير جريدة ( العمل ) وبتدخل من السيد الباهي الادغم الذى له علاقة متينة بالسيد فريد السودانى - لجنة متابعة تتحول من قاعة الى قاعة أخرى ، حيث تقدم الفرق الموسيقية ذات المستوى حفلاتها الرمضانية ، وهذه اللجنة مكونة من :

- الشاذلي القليبي ( قبل تولية وزارة الثقافة )

- محمود المسعدي

- صالح المهدي

- حسن الزمرلي

- وتوفيق بوغدير

وكانت الفائزة بأحسن أغنية المطربة علية وهي : ( ليث الرباط ) .

وكانت طريقة الاستاذ توفيق بوغدير فى النقد تتمثل فى وصف الحالة أو تشخيصها ، ثم نقد سلبياتها ، ثم ايجاد الحلول الايجابية البديلة لها .

من ذلك أن الممثل رشيد فاره قدم اليه ذات يوم وهو فى مكتب جريدة ( العمل ) وسلمه رسالة اتصل بها هو وبقية الفرقة البلدية للتمثيل تعلمهم فيها ادارة البلدية بانهاء مهامهم من الفرقة التى تقرر حلها، وذلك نتيجة لما ابداه بعض المستشارين البلديين من ملاحظات ذكروا فيها أن الفرقة تكلف ميزانية البلدية أموالا طائلة دون أن يكون دخل عروضها كافيا لتغطية تكاليف نفقاتها .

وعند اطلاع الاستاذ توفيق بوغدير على هذه الرسالة بادر بالكتابة فى تعليقه اليومي : ( خاطرة ) بجريدة ( العمل ) وعلى مدى خمسة أيام لتفنيد هذا الفهم الخاطي، لدور فرقة البلدية للتمثيل ، والتى أحدثت أساسا لتقوم بدور ثقافي لا تجارى من خلال ما تقدمه من عروض مسرحية .

نتج عن هذه الحملة القلمية تراجع البلدية فى قرارها وبقاء الفرقة الى يومنا هذا تواصل نشاطها الفني والثقافي .

كما قام بحملة أخرى فى جريدة (العمل) بزاوية (خاطرة) ، انتقد فيها استيراد العروض من الخارج التى تقدمها فرق فلكلورية من عدة بلدان ، ودعا بالحاح أكثر من مرة الى تكوين فرقة قومية للفنون الشعبية ، وذلك على غرار تلك الفرق لتبادلها الزيارة والعروض ، وكان وقتها السيد الشاذلي القليبي وزير الشؤون الثقافية ، فتحولت نواة صغيرة كان يتولى تدريبها الراقص حمادي اللغبابي - فى نطاق مدرسة الموسيقى والرقص - الى فرقة قومية جلب لتدريبها - فى المرحلة الاولى وضبط خطواتها وتصميم بعض رقصاتها المستوحاة من التراث الشعبي - أستاذ روسي فى هذا الفن .

وبهذا الموقف الحازم لتوفيق بوغدير ، أصبحت لنا اليوم فرقة وطنية للفنون الشعبية لها اليوم شهرة عالمية .

وفى نقده فى زاوية ( خاطرة ) بجريدة ( العمل ) ، انتقد ذات يوم غلق باب قاعة المعارض الفنية للبلدية المعروفة اليوم بـ « قاعة يحيى » بشارع قرطاج فى وجه الرسامين الشبان ، لتبقى هذه القاعة حكرا على الرسامين الذين لمع نجمهم فى هذا الميدان . ومن الذين منعوهم من دخول القاعة المذكورة مديرها الحالي وهو الذى شكاه هذه الحادثة للاستاذ بوغدير .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

فكانت نتيجة هذا النقد أن فتحت القاعة فى وجوه الفنانين الشبان ، وصاروا يشتركون فى المعرض الى جانب الفنانين الكبار .

### - الفنون التشكيلية :

كان اتصال توفيق بوغدير بالرسامين قد أثار شهيته القديمة للرسم ، وجعله يعيش فى جو اعتبره جوه هو نفسه ؛ فتابع باهتمام بالغ مشاريع الفنانين فى مراسمهم ومعارضهم الجماعية والفردية ، وتطور الرسام على مدى سنين ، والاهتمام بالمحاور التى يتناولها فى معارضه ، والتقاط أسلوبه فى تناول تلك المحاور ، مع ما فيها من إيجابيات وسلبيات تركيبا وألوانا وضوءا وأبعادا وإيحائية خاصة بالرسم التجريدى الذى طغى على غيره عدة سنوات قبل العودة تدريجيا الى المدرسة الواقعية ؛ مع ما اشتملت عليه تلك المعارض من تعبيرات فنية جديدة كالجداريات المتباينة تركيبا ومادة وفكرا ؛ تضاف اليها المنحوتات على الجبس أو على الرخام ، وهى نادرة جدا أو على المعادن أو على



الخشب أو المحفورات المعدنية ، فكانت كل هذه الفنون تثير اهتمامه فيتناولها بالعرض والتحليل والنقد الذى لا يكون دائما سلبيا ، هذا الى جانب حضوره لندوات الرسامين على الصعيد الوطنى والمغاربى بما فى هذه الندوات من إثارة للقضايا الفنية والاشكاليات .

### - السنما :

كانت للاستاذ بوغدير متابعة أيضا للعروض السنمائية ، ولكن هذه المتابعة كانت بدرجة أقل من المتابعات الاخرى الآتفة الذكر ، وكان ذلك منذ تنظيم المهرجان القومى لأفلام الهواة بقليبية ، الذى تحول فيما بعد الى مهرجان دولي ، وقد كان الاستاذ بوغدير ضمن لجنة التحكيم فى احدى دوراته .

### - توفيق بوغدير وفن القصة :

القصة عند توفيق بوغدير هى قصة الحياة السيارة ، وهى قصة لا تتنافى مع نواميس الحياة ، ولا مع نظام الكون ، لانها مساييرة لهما ، مندفعة معهما ، فلا تتعارض فى أحداثها مع أحداثهما .  
والدارس لأقاصيصه يمكن أن يستنتج من خلالها تطور أدب القصة عند هذا الاديب عبر مراحل ثلاث :

أ - المرحلة الرومانسية .

ب - المرحلة الواقعية الاجتماعية .

ج - مرحلة القصة البوليسية .

وفى كل قسم من هذه الاقسام لهذا الاديب اهتمامات خاصة بنمط اللغة ، ونوع البطل ، ونوع الحدث ، وطريقة اختياره ، ونوع الخاتمة ، وطريقة السرد ، وأسلوب الحوار ، الى غير ذلك ... وسأبدأ فى تحليلي لهذه الاقاصيص بـ :

### أ - المرحلة الرومانسية :

وتمثل هذه المرحلة قصته ( قبلة الموت ) ( I ) .

( I ) توفيق بوغدير - مجلة « الأفكار » : I43 - العدد 3 - السنة الاولى - يوم الجمعة 17 شوال 1355 هـ / الموافق لغرة جانفى 1937 م .



وموضوع هذه القصة تجري أحداثه فى إطار الطبيعة الغناء ، فبطل القصة هو الفتى سعيد الجادى الذى أحب فاطمة حبا جنونيا ، وعبر الى حبه فوق جسر العداوة العائلية بين أهلها وأهله - هذه العداوة التى جعلت البطل يعيش على حب بلا أمل ، وجعلت من هذا الحب سرايا واضحا لعينيه .

وينتظر الفتى سعيد الجادى حبيبته فاطمة مرة على ضفة النهر - كما تعود انتظارها - ليقابلها عندما تأتى لملء جرتها منه .

وتأتى فاطمة كما توقع ، وتفاجأ بوجود سعيد على غير موعد ، ومن شدة المفاجأة تنقلب الجرة من يدها فتتكسر فتتوجس فاطمة - بسبب ذلك - عقابا شديدا من أبيها القاسي عليها .

وفى إطار الطبيعة تناجي فاطمة سعيدا ويناجيها ، ويحتضن كلاهما الآخر ، وهما يبكيان من شدة الشوق وفرحة اللقاء . ويقبل سعيد فاطمة قبله هى كل ما ناله منها .

ثم يقرران الانتحار معا باغراق نفسيهما فى النهر ، وذلك لان حبهما ميئوس من تحقيقه بالزواج نظرا للعداوة القائمة بين أهليهما .

فمن خلال الموضوع نلاحظ أن هذا الحب العنيف يجري فى إطار الطبيعة على غرار الحب فى الادب الرومانسى العربى والعالمى ، اذ يبدأ الكاتب من بداية القصة بوصف هذا الاطار الذى سيرسم فيه بطله ، ويرصد تحركاته فيه ، ويرسم نهايته فى صفحته .

يقول الكاتب :

« رقدت الحياة ، وهجعت الطبيعة على نغمات الربيع فى مهد الهدوء والجمال ، وظل النهر يقظا مندفعاً كأسلاك من لجين ، راكضا تحت أقدام الروابي والهضاب ركض الاحلام والسنين ، مسرعا مرتجفا رجفة الامل فى القلب اليائس المخضل بالدموع ، مرددا فى خريره الهادئ أصداء الامانى البعيدة ، مرتلا أهازيج الطبيعة الراقدة الحاملة ببسمة الفجر ، نافثا فى صدر الليل الكتيب نجوى اليقظة ، ضاما فى طياته لغز الحقيقة وسر الوجود ، مرجعا فى

وحدثه النائمة حلم الراعى الساذج وآمال الزهرة المرتعشة فى يد النسيم  
المرتقبة لحبيبها النور « (2) .

فالبطل يتمسك بهذا الاطار البسيط الجميل ، لانه هو نفسه يمتاز  
بالبساطة ، وهو - على بساطته - يمارس التأمل فى أحداث الحياة وفى سر  
الزمن والموت ، ويخلق به الحيال المجنح ، ويعصف به الحب العنيف ، فيبريه  
وينحله ، وذلك على غرار الابطال فى الادب الرومانسى :

« وعلى ضفته الزهرة جلس سعيد الجادى بثيابه القروية البسيطة ، هادئاً  
ساكناً كخيال من خيالات الماضى البعيد ، ناظراً فى أعماق النهر السائر المترنم  
بنغم الحقيقة وأنشودة الحياة الخافقة نظرة المفكر الحزين ، نظرة الحائر فى وجوده  
ومصيره ، نظرة الغارق فى لجة التصورات المتناقضة ، وفى صدره وبين حناياه  
تثور العواطف المبهمة الغامضة ، فتتنازع قلبه المضنى ، وتقذف بنتيجة الصراع  
آهات متقطعة حائرة تلتهب فيها العاطفة الجامحة والفكر الحائر » (3) .

فهذه الحيرة البادية على البطل سببها أنه يقف بين الشك واليقين فى مجيء  
حبيبته فاطمة أو عدم مجيئها :

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

« تراها تأتى لتملأ جرتها من هذا النهر الذى يحكي فى اضطرابه اضطراب  
جوانحي ، وفى سيره وذهابه ذهاب أحلام شبابي وضياعها » (4) .

فمن شدة هيام البطل وجهه أغرق فى التفكير وفى الحزن والذهول  
والذبول ..

ونفس الحيرة نجدها عند فاطمة ، فهي عندما أمرها أبوها - ذو القسوة  
عليها - بأن تحمل الجرة وتملأها من النهر ، وألا تبطئ ، والا فان العقاب  
ينتظرها ، كانت حزينة حائرة ، وهي تتمنى أن لو ماتت بدل أمها التى خلفت  
لها أخوين صغيرين تكلفت بأمرهما ، فأرهقت منهما ومن قسوة أبيها .. ولعل

(2) مجلة « الأفكار » : 143 .

(3) نفسه .

(4) نفسه .

هذه المعاناة الاجتماعية ومعاناتها لحبها اليائس للفتى سعيد الجادى ، هى التى جعلت البطلة تتمنى الموت ، وهو ما جعلها تفكر فى التخلص من الحياة لاعتقادها أنها منبع الشقاء والآلام (5) .

غير أن الحب هو النور المنقذ من ظلمة اليأس ، فهى : « سرعان ما طردت هذه الفكرة المجازفة » (6) . لما تمثل لها فى خيالها جارها وحبيبها سعيد فى صورة جميلة ، وفى اخلاصه لها ووفائه إياها ، فقررت لذلك فى سرها أن تحيا لأجله وإن استحال قرانها به ، وتحيا لأجل أخويها الصغيرين .

غير أن هذا القرار سرعان ما تبدل عندما التقت بسعيد ، فاذا الموقف فى قمة الرومانسية ، واذا البطلة تنفجر الكلمات من صدرها انفجارا متتابعاً ، واذا الحور يساهم فى كشف ما فى الأعماق :

– سعيد ! سعيد ! أنت هنا أيها الحبيب ؟

– بل قولي يا شقي نعم ادعيني يا شقي ، ودعيني آتئعم بلذة الشقاء ، فاني ما خلقت لغيره ...

كفكفى الدمع يا حبيبتي ، فليس فى الدمع عزاء ، بل العزاء فى الراحة ، وراحتي بالموت ! !

– لبيك أيها الحبيب ! نعم نعم سأرافقك فى رحلتك البعيدة ! ! ، (7)

فالبطلان – كما يتضح من النص – يقرران الانتحار بسبب عدة دوافع منها الظروف الاجتماعية القاسية التى حكمت على حبهما بالفشل وعدم تحقيق الغاية منه وهى الزواج ؛ ومنها الاعتقاد بأن الحياة منبع الشقاء والآلام .

فصفات البطل فى هذه القصة هى صفات رومانسية ، فهو ميال الى التأمل كثير الشرود والسروح فى الخيال ، يغلب عليه الحزن وتلفه الكآبة باستمرار .

(5) مجلة « الأفكار » : 144 .

(6) نفسه .

(7) مجلة « الأفكار » : 144 .

فهذه القصة تمثل المرحلة الرومانسية في مسيرة توفيق بوغدير القصصية ، وهي أولى مراحل انطلاقه في أدب القصة ؛ ومما يؤكد هذا القول أن الكاتب في لغة قصته متأثر أشد التأثر بأدب الأدباء المهجريين ، وعلى الأخص لغة جبران خليل جبران في « الأجنحة المتكسرة » و « الأرواح المتمردة » .

ففي قصة توفيق بوغدير هذه مثلما هو الحال في أدب جبران حديث مستمر عن دموع الفجر وعن الندى والانهار والازهار والطيور والليل والنهار والنور والشمس والحياة والموت .

كما أن لغة هذه القصة - مثلما هو الحال في لغة أدب جبران - قوية ومشحونة بالعاطفة ومملوءة بالاستعارات البلاغية مثل : ( رقدت الحياة ) (8) و ( ظل النهر يقظا ) (9) و ( صحراء اليأس ) (10) و ( قلب مترع بالأوجاع ) (11) و ( لظى الوجد والألم ) (12) . الى غير ذلك من الصور البلاغية ذات الأبعاد المتعددة .

وفي لغة هذه القصة تكثر التشابيه مثلما هو الحال في أدب جبران خليل جبران ، من ذلك مثلا : <http://Archivebeta.Sakhrit.com>

« جلس الفتى ... ساكنا كخيال من خيالات الماضي .

« سكت قليلا متأملا كفيلاسوف .

« حدى اليها أبوها وبصوت أجش عميق كصدى الاوجاع الغائرة ... أمرها ...

(8) نفسه : I44 .

(9) نفسه : I43 .

(10) نفسه : I43 .

(11) نفسه : I43 .

(12) نفسه : I43 .



« نظرت اليهما [ أخوها ] نظرة واجمة وهما كملاكي وثام تعانق أرواحهما الأحلام الهادئة » .

كما أن لغة هذه القصة فيها خاصية أخرى من خصائص لغة جبران الأدبية وهي تعدد الخبر في الجملة الاسمية الواحدة ، مثال ذلك :

« ظل النهر يقظا ... راکضا تحت أقدام الربى ... مسرعا مرتجفا رجف الأمل فى قلب البائس ... مرددا فى خريه الهادى أصداء الأمانى البعيدة » (13) .

ففى هذه المرحلة كان اهتمامه بوهج الكلمة وبهزج العبارة ، وتنميق اللفظ واضحا . وكان اهتمام الكاتب بالحـب فى إطار الطبيعة أوضح . وذلك يعود الى أمرين :

– سن الكاتب فى فترة نشره للقصة ( غرة جانفى 1937 ) والتي لا تزيد عن 21 سنة • وهى بطبيعتها مرحلة العمر الرومانسية •

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

– انتشار الادب المهجرى وتأثر الادباء العرب به ، واهتمامهم بأسلوبه •  
ومن بينهم صاحبنا هذا الذى نتناول أدب القصة عنده بالبحث •

– يتبع –

نور الدين بن بلقاسم

## خضراء الدمن

لقد تغير في كل شيء ... لم أعد ذلك الجلف الجاهل الذي لا يفك الحروف ولا قدرة له على ذلك ... لقد تعلمت ... تصوروا لقد جاءني صديقي شارل يوما وتمتم متعجبا مستغربا : - أنت تحب ؟!!... ثم ضحك عاليا متابعا ومتى صار لك قلب ... انك لا تعرف الحب ولم يخفق قلبك الا لقارورة - الكونياك وكأس الباستيس ... أنت أعظم سكير عرفت على الإطلاق ... ها .. ها .. ها ..

وحقا فلم أكن أحب أحدا قبلها كما لم أكن أبغض أحدا وكانت لامبالاتي بالاشياء غريبة بشكل مزعج ...

قال لي الاصحاح في السجن : - إنك مرعب ووجهك شاحب كتيب ... لم أبال بهم لانني كنت أشعر بسرور غامر ملا نفسي وكياني ... إنني راض على نفسي فقط ... إنني أمل واشراق باطني جامع ... لذلك واصلت الحديث سعيدا : - لقد أحببتها - أحببتها بكل صدق والله شاهد على ذلك ... أجل ... لقد أحببتها من كل قلبي ... ولم أكن أحب أحدا قبلها .. أنا ذلك الجلف الذي قال له والده يوما : - انك لا تصلح لشيء هنا وطرده من الحقل المعشوشب ... ذلك الحقل الذي أجهدت نفسي حتى صيرته على ما هو عليه من جمال وغلل ... على كل ... تدبرت أمري وسافرت ..

قبل الحادثة بيوم لم يكن معي في الغرفة غير شارل وقد مالت الشمس الى الغروب فقال لي : - ستكون عشيّة رائعة ... انظر لون الطبيعة الزاهي ... انظر الحقول الخضراء .. انظر الدوالي .. إنها الجنة .. الجنة يا صديقي .. إنها ف ... فقاطعته وقد كاد يتخمر - اسكت يا شارل إنني لا أتحمل كثرة كلامك ... انك ثرثار ... ثرثار بحق ، فضحك وقال : - انك لا تفضبني بملاحظاتك الكثيرة لأنك صديقي فعلا ...

خرجت عندئذ من الغرفة الخائقة وأستنشقت الهواء نقيا ثم لوثت دمي  
بخمر السيد (جان) في آخر الشارع ثم عدت مترنحا ونمت ...

وفي الصباح قلت « لشارل » : - سأغيب هذا اليوم ولن أرجع إلا غدا  
أو بعد غد . ثم اتجهت نحوها ... أنا أعرف مكانها مثلما أعرفها : قوام  
رشيق وجمال فتان ... والكل يطمح اليها ويهر عليها فلا تلتفت وقد تبصق  
في وجه من يعاكسها .. الويل لمن يعاكسها .. إنها لي .. فقط .. ولا  
لأحد غيري .

يا الله ، يا ليعينها ، تلك الدمية في بلاد الغرب ، حقا قد أعجبني فيها  
عينها الخضراوان ويا لروعتها ، انهما رقة وسحر ، انهما عينا تونسية مثلي  
في بلاد الغرب ... عينها خضراوان ... انهما عشب يرتع فيه قلبي مثلما  
ترتع شياخ والذي على ضفاف مجردة ، هناك على الساحل الآخر للبحر  
المتوسط في بر افريقيا ، بعيدا .. بعيدا .. بعيدا ..

والغريب أن لا أحد يصدق أن وطني أخضر مثل عينيها ، حتى « شارل »  
فقد قال لي يوما : - إنك تخرف دوما بهذا الكلام وليست افريقيا سوى  
ابل ورمال وجوع وفقر وعطش ..  
<http://Archivebeta.org>

أغضبني يوما فخاصمته ولم أكلمه الا بعد أن جاءني يطلب العفو  
والغفران ... يقول : - أجل ... إن وطنك أخضر - أخضر مثل عينيها  
تماما ، انه أخضر فعلا ... أنا أحب وطنك ، انه وطني ... أنا الآخر ..  
هل نسيت أنني ولدت هنالك وأن لي منزلا على ضفاف بحيرة بنزرت . ثم  
سكت فاستغرقت في أحلامي بعد أن ابتسمت معبرا له عن قبولي العفو عنه  
وأنا أقول في سري - هل يكون حبي لها من أجل عينيها ؟ .. أجل ... أجل  
ولولا عيناها لما أحبها أحد ... إن في عينيها لسحرا ودلالا ... انهما أجمل  
عينين رأيتهما .. وفيهما أرى وطني البعيد .. هناك وراء البحر ...

في الايام الاخيرة بدأت حيرتي ... احترت تماما مثلما يحترق الناس ...  
ولكنني احترت لأجلها .. لقد صرت أخشى عليها من أعين الناس  
تؤذيها .. وهذا جنون .. صرت أصون خضرة عينيها مثلما يفعل الصوان  
في حقل الزيتون هناك في قريتي .. في تونس خلف هذه القضبان ... ولكن



ولكن صوان حقلنا سراق وأنا لست مثله ... إنه يمد يده الى الزنبيل ...  
وأنا أحتضنهما وأقبلهما حتى اننى أغيب عن الوجود ... يا ويلى كم أحبها ..  
ويا لتينك العينين الخضراوين ... اننى أحبهما وأحب صاحبتهمما بنت  
وطني ... والكل يعلم ذلك .. وسأقتل كل من يعتب ناحيتها .. وأنا أغار  
عليها من نفسي ... لقد تعلقنا ببعضنا ... وصرنا واحدا وكنا سنتزوج فى  
الصيف هى ابنة السبعة عشر ربيعا وأنا ابن الاربع والعشرين خريفا ...

فى صباح ذلك اليوم إذن قلت : - سأذهب الى « نيس » وسأتركها فى  
« كان » فليرعها الله ... وكنت يومها خائفا عليها ...

وفى المساء من ذلك اليوم العجيب كنت قد أتممت ما عزمته عليه ... فقد  
اشتريت صالونا وأثاث بيت نوم ووسقته نحو «مرسيليا» ولسوف يسبقني  
ويكون فى انتظاري عندما أعود بعد أسبوع ...

شربت كثيرا قبل أن أعود الى « كان » فى مساء ذلك اليوم إذ عدلت عن  
المبيت بعد أن أتممت ما ذهبت من أجله ... وفى « كان » أيضا شربت  
ودخنت حتى احتجب قلبي ... نعم قلبي ... لقد صار لي قلب ولكن  
الدخان عليه كثيف فاحتجب وتلوث ...

وعندما عدت الى منزلي لم أكن فى حاجة الى طرق باب الشقة لأن لي  
مفتاحا مثلما أن لشارل مفتاحا ... فتحت الباب فى سكون ... والشمس  
تميل الى الغروب ودخلت صامتا ذلك الصمت الذى يعتري السكرين أحيانا  
وخصوصا الشرييين العاشقين مثلي ...

دخلت وأنصت جيدا .. تنهيدات وزفرات .. وشهيق .. وقبلات ..  
وآهات .. ودماعي يفور ويفكر .. من يكون بالداخل ؟ غريب ... لقد نهبت  
شارل وقلت له أن أمسك عن أن تفعل مثل هذا فى شقتنا لأن دمي زفر  
ملوث ... وأريد أن أتوب وأتزوج على سنة الله ورسوله ... لا يهم ..  
خطوات خطوة وناديت : - شارل .. شارل .. فلم يجبني أحد ...

تقدمت نحو غرفتي وفتحت بابها على حين غرة ... يا الله ... لم أصدق :  
أفى غرفتي يقع مثل هذا وعلى سريري ... أأنت تفعل هذا يا شارل ...



يا أعز صديق ... وفار الدم في عروقي ولم أبق لهما فرصة الافلات أو حتى  
اتمام شهوتهما ... فأخذت كرسيا وهويت به على رأس شارل أعز الاصدقاء ...  
فترنج عاريا وهوى على الارض وسال دمه من رأسه .. فواجهتني عيناها ..  
عيناها الخضراوان الساحرتان ... فخفت من نظراتها ... أجل خفت ولاول  
مرة في حياتي ... حدثت في فأخافتني ولكنني تماكنت نفسي وشددتها من  
شعرها وصفعتها ... فتألمت وغرزت أطافرها في لحم وجهي فأدمته ... نظرت  
في عينيها جيدا .. وبصقت فيهما .. عيناها الساحرتان .. ثم لم أدر كيف  
فعلت ... لانها كانت لها قدرة كبيرة على العراك ... وهى تصيح : لقد  
قتلته .. لقد قتلته .. عندئذ أظلمت الدنيا في عيني وأمسكتها من رأسها  
وشعرها كُننى أوثقها فتمنعت وأرادت أن تزيل يدي الغليظة ولكنها لم  
تستطع فصفعتها وصحت : - لا تتحركي يا فاجرة ... سوف نتزوج عما  
قريب .. يا خائنة .. أيا بنت الكلب .. وغرزت أصابعي وأطافرى في عيناها  
اليمنى حتى اقتلعتها فصرخت وكادت تفلت من يدي ولكني أمسكتها بيد  
من حديد وغرزت أصابعي في عيناها الاخرى وأقتلعتها من الألم والقهر هى  
الاخرى وأنا أصبح : - لن يحبك أحد بعد اليوم .. لن يحبك أحد بعد  
اليوم .. فصاحت : - لقد أعميتني .. الويل لك .. الويل لك .. ثم صفعتها  
وتركتها لا تدري موطئ قدميها حتى سقطت وأغمي عليها من الألم .. فحملت  
عينيها بلطف في يدي وغسلتهما بتريث وأزلت عنهما دمهما الملوث برفق  
وخرجت وأنا أقول : - سوف أعود اليك يا حقل والدى الاخضر وستعشب  
عما قريب ثم اتجهت نحو الخمارة أعب الخمرة وأدخن ...

وبعد ساعتين ومع اشتداد الظلمة جاء البوليس ليحملني فامتثلت بكل  
أدب وكانوا يحملون البنادق والمسدسات والهراوات ويشيرون بها في وجهي  
وعلى صدري ويصوبونها نحو كل عضو في جسدي ولكنني لم أخف منهم  
وتحسست جيب سترتي .... وسرت وأنا أداعب عينيها بأصابع يدي  
الغليظة ومضوا بي نحو السجن ...

محمد الهادي الكعبوري

طريق تونس

7080 منزل جميل

## وجه وضباب

تثائب وتمطى .. تعرت قدماه .. ثم عاد فانكمش .. دفع الوسادة فوقت  
عن السرير .. وتوسد ذراعه ..!

رفع رأسه فى تراخ وإعياء .. كانت الغرفة قاتمة .. تأرجحت بعض أدبائه  
فى أقفال النافذة .. وطرح بعضها فوق كرسى .. كانت بقايا السجائر قد  
تناثرت هنا وهناك تضيء على الغرفة رائحة ثقيلة مخنقة ..

أدركت الشمس النافذة الغربية ، فتسربت أشعتها من خلال ثقب صغير ،  
تنقط صدر الغرفة صفائح بيضاء ..!

حشرة خبيثة تمكنت من صدره ، فالتكأ على طاولة عرجاء ، واستسلم  
لنوبة من السعال الحاد .. <http://Archivebeta.Sakhril.com>

انتهت الحشرة ..!

تحسست عيناه الاواني ، وقد أصابها التلوث فتغير لونها .. ثم انسحب  
من القاعة ..

أخيرا ترك البيت ..!

كان الشارع طويلا ، ينفث صخبا وقيظا .. وكان صدره ينفث دخانا  
وسعالا .. وقف أمام واجهة بلورية حبل بأشكال شتى من المبيعات .. واكتفى  
بصورته المعكوسة على الزجاج .. فارتفعت يده تتحسس تورما خفيفا أصاب  
أسفل عينيه ..

ثم مضى ..!!

انعرج الى اليمين ، ثم انتهى الى مقهى ، فوضع اثقاله فوق كرسى ثم  
حمل رأسه بين كفيه .. وعيناه تلحسان عناوين مجلة قديمة امامه ..

كانت صورة الغلاف واضحة ...

هذا الحكيم وفى يده شكيمة حمار الحكيم !!

انتعش حركات النادل أمامه .. فنجان قهوة ، وكأس ماء ..!

ثم عاد الى الصورة ، فتحركت !!

هل أعلن حمار الحكيم إضرابا ...!!

قال الحكيم : كل !!

مهمه الحمار ، ثم صفق بأذنيه ، وسكن ...!!

قال الحكيم ثانية : - كل ...!!

هش الحمار برأسه ، ثم صفق بأذنيه ثانية !

رمى الحكيم بالشكيمة وخطا قائلا :

- قد جعلت طعاما لكل فم .. فكيف ترفض طعامى ...!!

ابتسم للصورة .. وكان جائعا ..

التهبت أمعاؤه تحت وطأة مرارة القهوة ، فأردفها برشفة اضافية ، وكاد يلحق قاع الفنجان ..

وقف ، وانسحب مع المترجلين وسط الزحام ..

ما زال الشارع طويلا .. وما زال ينفث صخباً وقيظا ..

أدرك نقطة التقاطع عند منتصف الشارع .. حديقة على شكل دائري ، ومن

حولها تنتشر الطرقات فى اتجاهات متباينة تضيف على البنايات المتراسة شكلا هندسيا بديعا ..

استلطف نعومة العشب ، فاستلقى وقد طرح الى جانبه المجلة القديمة ..

ما زال وجه الصورة واضحا .. هذا الحكيم ، وهذا حمار الحكيم على صورته الاولى لا يتغير ..

انتبه الى منبه سيارة مميز .. رفع رأسه .. سيارة حمراء .. وفي وسطها  
فاتنة حسناء تستهجنه بنظراتها المثيرة .. ثم مضت ..

عاد الى صورة المجلة فتحركت ..

قرر الحكيم أن يساوم الحمار .. وهذا فن !! ..

قال :

- فان سخرت لك زرعاً ؟! ..

قال الحمار :

- لن يخصب ، لان أصل المنبت أجذب ! ...

قال الحكيم :

- لن ينفع .. فوكر الوهم مرفأ ! ..

قال الحمار :

- إن ينفع .. فوكر الوهم مرفأ ! ..

قال الحكيم : <http://Archivebeta.Sakhril.com>

- وإن سخرت لك قلماً ؟ ..

قال الحمار :

- لن يكتب ، لان حبره سكن الجليد فتجمد ! ..

فهش الحكيم على الحمار بعكازه مزبدا ..

قال الحمار :

- هيا ، اضرب .. فأصل العنف مرفأ ! ..

ابتسم للصورة ثانية ، ثم انزاح عن العشب وعاد الى الشارع يمسح  
آثاره الاولى ..

اشتد الحر .. فسال العرق يلعب لون البشرة ، وتضاعف الصخب ممزوجا  
برائحة البنزين المحترق .. والشارع يختنق شيئا فشيئا فشيئا ..



تسربت الى خياشيمه رائحة الشواء .. واكتفى برغيف مجفف ..  
« كسكروت » وعيناه تلعان صدر دجاجة محمرة منكشمة سال زيتها !! ..

على يمين الصحن رغيف يتناقص حجمه ، وعلى يساره مجلة قديمة تتشمم  
هى الاخرى رائحة الشواء .. وصورة المجلة ما زالت واضحة :

هذا الحكيم يستل الرغبة من فم حماره ، كما يستل الجائع خبزا من فم  
جائع آخر !! ..

انزاحت عيناه عن الدجاجة المحمرة ، وسقطت فى جوف صحن خلفه  
حريف متخم ..

اشتكى الرغيف المجفف بين يديه ، فاستحى وعاد الى صورة الصفحة مرة  
أخرى فتحركت !! ..

جلس الحكيم القرفصاء ، وقد ربع يديه فوق عكازه العجوز ثم قال :

– من يحملني ؟!  
قال الحمار :

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

– هذا ليس من شأني !.

قال الحكيم :

– حملت الدنيا فى رأسي حتى شاخ رأسي ، وشاغت من حوله وفوقه  
الرووس !! ..

قال الحمار :

– هذا حسن ! ..

قال الحكيم :

– والآن وقد أعياني الحمل : فهل لك أن تحمل عني هذا الحمل وتحملني ؟!

قال الحمار :

– لن أحمل ما حملته عمرا فى يوم .. ولن أسمح للزمن أن يقضم عمرا

هو عمري !! ..

ابتسم كالعادة للصورة ، ثم ترك محل الشواء ، وحمله الشارع فى سيل  
من الخلق لا يهجع ..!

كانت لفتاته تتناوب .. ذات اليمين ، وذات الشمال .. واستيقظت فى  
صدره رغبة كرجبات الشارع المختنق .. ثم تركت صدره ، وحلقت .. حطت  
على وجه فاتنة ، ارتج لها الطريق لارتجاج جسمها ..

ثم طارت .. وحطت بين ثنائى الجنسين يتمشيان ، والبسمة تفتح  
لهما الطريق ...

ثم طارت .. وحطت على رأس حائرة ، تائهة واقفة وراحت تسائلها ..

ثم طارت ، وحطت فوق طاولة جوف حانة غصت فاختنقت ..!

ابتسم للنادل وهو يرد له التحية !! ثم جعل مجلته القديمة فوق الطاولة ..

ما زالت صورة الصفحة واضحة ، رغم الفتور مثلما ينهش الضباب لونها ..  
هذا الحمار يستهجن صاحبه ولا يستحي !!

حمل الحكيم رأسه بين كفيه وقال : <http://Archivebot.com>

- أشهد أننى قد تعبت !

قال الحمار :

- وما زلت !!

قال الحكيم :

- امض ،،، قد برأت نفسي منك ؟..!

قال الحمار :

- الى أين ؟.. اليك ؟..! فهذا مسكني الوحيد ..!

قال الحكيم :

- انتشر فى الارض .. فهناك تتكاثر المسالك كتكاثر الاشواك .. أين  
تتفاوت الجراحات عمقا وطولا ..!

قال الحمار :

- هي لعبة لن أكون أداتها .. فهناك لا تسكن الضميدة الجرح .. فدعني في مسلكي هذا !..

وتكاثر الضباب ، فغابت الصورة ..

احمرت عيناه ، ثم جحظت .. فوقف .. اختل توازنه فترنح وسقط .. فشج رأسه .. حمله النادل ثم رمى به خارج الحانة ..  
تحسن طريق العودة الى البيت .. وعند نقطة التقاطع اختلطت في رأسه السبل ..

أدركه أحد أصحابه ، فعاين الدم السائل من رأسه ..  
قال صاحبه :

- من شجك ؟!

قال مبتسما :

- أردت أن أمازح حمار الحكيم ، فأصابني !..

قال صاحبه مستفهما :

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

- نعم ؟!

قال :

- يقولون ثمانية .. ويقولون تسعة .. ويقولون عشرة .. والحمار أعلم مني بعددها !!

قال صاحبه ساخرا :

- هل تقصد ركلات الحمار ؟..

قال :

- لا .. اني أحسب عدد الكؤوس في بطني !..

قال صاحبه في ازدراء :

- يظهر أنك قد أثقت الحمل هذه الليلة !!..

هيا بنا الى البيت !..

محمد الشمتوري

## بوراي عجينة

### أقدام فى الوحل

طالما حاول أن يهرب بعيدا عن أكوام الزبل التى ما فتئت تتراكم وتتكدس أمام ناظريه كل يوم • إنها تستهويه ، تشده إليها بسحر غريب لا يقاوم ، رغبة جامحة ما تنفك تدفعه ليعود الى نفس المكان المهمل فى أحد أطراف المدينة وتسبقة عيناه الجاحظتان فتخترقان مشهد المستنقع البعيد وبدون عناء كبير يدرك أن أيادى ماهرة سبفته فبعثرت تلال القمامة وجردتها من كنوزها كالسراب •

وتسير به قدماه نحو هدفه المعتاد ، وتتدلى خلفه قفته الكبيرة ذات القعر الجلدى المتين ، متأرجحة ذات اليمين والشمال ، على توقيع حركاته الريبية يشدها قضيب حديدى رقيق ، معقوف الطرف ، وضع بأعمال على كتفه اليمنى وتسبقة عيناه الجاحظتان فتخترقان المستنقع البعيد • ودون عناء كبير يدرك أن أيادى ماهرة سبفته فبعثرت تلال القمامة وجردتها من كنوزها وأسرارها •

ويواصل رغم ذلك سيره متقدما فى الوحل •• ويشمر عن رجليه ليعبر بركة رمادية لزجة ، يغمس فيها قدما فتغوص حتى الرسغ ويغمس الثانية فتثبت داخل الخليط المتخثر • وينزع منه حذائه القديم بمشقة وعناء ، متقدما رويدا رويدا ، ومخلقا وراءه أخاديد صغيرة تنبعث منها روائح عفنة وفقاعات بيضاء ، ثم ما تفتأ جراح الأرض أن تلتئم ، وتنسطح قشرة الأرض من جديد كأن شيئا لم يكن •

\*\*\*

وفى أحد أطراف الخلاء المقفر يلمح بقايا سحبات رمادية تصاعد متعشرة صوب السماء الصافية منطلقة من مزبلة لا شك أن إحدى الأيدى أضرمت فى محتوياتها النيران وغابت • وتشد عينيه كتلة بشرية تتحرك منفصلة عن



الحريق الذى أوشك أن يخمد . ويحول اتجاهه قليلا ويسير صوب طيف امرأة رمادية الثوب تمشى الهوينى رازحة تحت هيكل مرتفع من الاغصان والاشباب المتحركة .

أنثى ضائعة فى هذا المستنقع الكبير لم تجد بغيتها فجمعت ما قدرت عليه من أعواد وعادت ظافرة بما كسبت . لعلها تفتقر مثله الى قليل من الانس والدفء وحرارة الأنفاس ، فى هذا الفضاء الرحب وهذا الهواء البارد .

لطالما سكن جلده الحرمان وأقضت مضجعه - فى تلك الغرفة القصديرية الضائعة بين الهضاب - نيران متأججة فى أحشائه يحاول أن يطفئها ويغرقها دون جدوى ، كانت الوحدة دائما تلازمه وتضاجعه سواء فى ليالى القبط أو الصقيع . فلا يجد ملاذا غير القارورة الحمراء ناعمة الملمس يعب منها ما يشاء فتعبه قليلا من النسيان والصبر والنوم وتجعله يحلق أحيانا فى فضاء الحلم القصير بأجنحة من السعادة سرعان ما تزول .

الرغبة الحادة تؤلم أحشائه ، ودماء حارة تتدفق فى كامل جسده وتساعد الى عينيه ورأسه كابر واخزة . ويريد أن يبحث الخطي عساه أن يصل الى مبتغاه بسرعة أكثر الا أن الوحل كان عنيدا ، كلما تفوص فيه قدماه الملهوفتان يمسك بتلابيبهما بقوة .

ويجذب احدى قدميه بكل ما لديه من عزم وحذر وينتزعاها من باطن الارض فتخرج حافية عارية دون حذاء ، ويصب شتائه ولعناته الى الساعة التى ولد فيها . . ويغمس يده فى السائل اللزج البارد بحثا عن ضالته هنا وهناك فلا تقبض فى كل مرة الا على الفراغ . . ويلعن الدنيا وأهلها ، ويمسح يده المعفرة بالطين على جنته ، ويخرج قدمه الأخرى من الطين ، ويقذف أمامه فردة الحذاء المتبقية متعمدا . ويبحث السير لا يلوى على ما أضاع مثل بطة عرجاء .

وبعد جهد وعرق ولهات يقترب منه الهيكل البشرى ويبين لعينيه بجلاء ووضوح ، « ثياب رثة متدللة الحواشى وشعر أشعث متلبد .. ووجه عبث به السنون وتربعت عليه الشيخوخة ، ونقشت عليه أخايد ومنعرجات وكهوبا وعندما يوشك اللقاء أن يتم يبتسم له فم عجوز بسمة كثيبة تظهر له بضعة أسنان سوداء يتيمة ويصفعه صوت أبح يخاطبه كأنه منبعث من أعماق بشر :

— لم تأت الشاحنة بعد !

ويغمض عينيه قرفا ويكاد يتقيأ لو لم يحول ناظريه ويجرى هاربا نحو أقرب مرتفع حيث أكداس الزبل القديمة .

\* \* \*

يلقى بيد متوترة القفة الفارغة على الأرض ، ويمسك باليمنى بقضيب الحديد الرقيق بعصبية ، وينحنى به على الكدس يقلب طياته ويكشف عن خباياه مبعثرا كل ما اعترضه متجها الى داخل الأعماق المنسية :

« قوارير حليب وغسول فارغة ملقاة على جوانبها منفتحة الأفواه .. وعلب ياغرت صغيرة سال ما تبقي منها على جوانبها وتجمد .. أكياس ملونة من البلاستيك مطعونة أو مقطوعة الأعناق .. ويقلب قشور الغلال بحثا عما تحتها فيجد خضرا متعفنة وقد عشش داخلها الدود وتناسل وتكاثر وتحرك مذعورا للزيارة المفاجئة ويخرج بطرف الحديد ثوبا مبللا التصق به الوحل وينفضه في الفضاء فيتبين له أنه مريول أجنبي العبارة قد يصلح للبيع بعد غسله وتجفيفه .. ويرى أيضا علبا وصناديق معدنية صغيرة فارغة احتفظ بعضها بأغطيتها الملتوية . كان أفرغ ما بداخلها من طماطم مصبرة وأسماك صغيرة لذينة ثم القيت في الشوارع . وهناك بطارية عريضة نفذت منها الطاقة فرميت في سلة المهملات وحذوها قبعات بطارية مشابهة انفلت منها الجوف وصهدتها الشمس فخرج من أحشائها سائل لزج أبيض غشى مادة سوداء داكنة ... وغير بعيد تبعثرت قطع متفاوتة الحجم من الشاش والقطن اختلط بياضها الأصلي بحمرة قانية وصفرة داكنة وخضرة باهتة .. كل ذلك يذكره بأروقة المستشفيات والجراح المفتوحة . وتحرق الروائح الكريهة أنفه ، فيختنق ويتعبد هاربا الى كدس آخر وهو ينفث من صدره زفرة طويلة .

\* \* \*

يا شمسا متربعة في سمائنا الرحبة ! كيف تشعين في آن واحد على بطون تكاد تنفجر تخمة ، وعلى بطون أخرى خاوية تصخب جوعا وسغباً . مالك تبزغين كل صباح من الشرق لتنيري وجوها وردية ناعمة تنتقي لأفواهها

أشهى الاطعمة ولأجسادها أفخر الاثواب ولانوفها أرقى العطور ، وتشعين فى نفس اللحظة أيضا بأشعثك الوردية على وجوه أخرى شاحبة اعتادت أن تتشرد فى الخلاء منتظرة على لهف بعض ما أفرغته القمامات من بقايا طعام أو أدباش بالية أو أدوات قديمة لا يصلح أغلبها لأى شىء .

ألا تنحنى التلال قليلا وترتفع نحوها السفوح فتنشأ من التقائهما سهول خصبة وهضاب خضراء .

متى ينزل من السحب العالية الشامخة قليل من الرذاذ فتبتل شفاة الارض العطشى . بل لم لا يعم الطرفان كل الارحاء فتنفجر من الاعماق التربة والحشائش والزهور البرية وتتحول الصحارى الى جنان يانعة .

\* \* \*

وفجأة يسمع من بعيد هديرا قادما فتتوقف يده عن كل حركة وينتصب قائما متطلعا متأملا طرف المسلك البعيد .

ويقترب الصوت رويدا رويدا ويتضخم تدريجيا مخترقا سكون الخلاء . وتلج أذنيه رجات ناعمة فيها الانتظار والأمل . ويريح عينيه مشهد شاحنة البلدية القادمة وهى تتهاذى كالعروس .

هل إن الدنيا أخذت تفتح احدى نوافذ رحمتها وتطل عليه دون سابق موعد لتمد ذراعيها وتحتضنه وتهبه قبلات محملة بالخير الكثير ؟ لم لا تكون هذه الشحنة أفضل الشحنات زاخرة بطعام شهى يلتهم منه ما يشاء ، ويدخر ما تبقى منه للأيام القادمة بل لعلها معبأة أثوابا سيتدثر بها من صقيع الشتاء أو يبيعها لسماسرة سوق الملابس القديمة ، أو يقطعها مربعات متجانسة متساوية الشكل يربطها أحزمة ويعرضها على ورشات اصلاح السيارات .

أما القوارير الزجاجية السليمة وأسلاك النحاس الأصفر فبيعها أمر يسير .

من يدري ! لعل إحدى ربات البيوت الموسرة القت سهوا فى صندوق القمامة بخاتمها أو بسوارها أو بقلادة ثمينة هى الآن مصنونة عن العيون تتجه نحوه على مهل وتدعوه ليظفر بها . فتزول بذلك همومه نهائيا ويكف عن



التسكع بين المزابل ويبحث عن عمل شريف أو يعود الى بلدته الصغيرة  
منتصرا؟

وما هي إلا لحظات قليلة حتى ظهرت في آفاق الخلاء أشباح بشرية عديدة  
آتية من كل حذب ودرب ، تتقدم بسرعة مذهلة نحو نقطة واحدة كأنما يجذبها  
مغناطيس قوى إليه .

ويندفع مثلها يريد اللحاق بالشاحنة المغلقة بأحكام يحميها من الحلف عاملان  
بقامتيهما المدينتين ومعطفيهما الأصفرين وحر كاتهما الزاجرة .

ورغم ذلك يتشبث الجميع بأطراف الآلة المعدنية الصلبة حتى لا تفوتهم لحظة  
الافراغ والاقتناص .

وتتوقف أخيرا الشاحنة الثمينة وتنعرج قليلا الى الورا وبحركة زر خفى عن  
الأنظار يرتفع الصندوق عاليا من جهة غرفة السياقة يشده محور معدني صلب  
صقيل . وينفتح الباب الخلفي فتنزل الزبل ببطء مقيت ، وقبل أن تصل إلى  
الأرض المبللة تعبت بها الايدي والقضبان الحديدية والعصي بحركات جنونية.  
ويختلط الصراخ بالزحام والاندفاع بالشتائم :

« ابتعد عني .. تنح من أمامي .. لقد سبقتك الى هنا .. هذا القميص  
لى فقد أمسكت به قبلك .. »

ويشق الفضاء صوت تمزيق ثوب برهة من الزمن قطعة سكين حادة يتبعه  
سباب وشتائم ، وتخطف أصابع طفل هزيلة قطعة مرطبات مبللة وتلقى بها في  
الفم المفتوح بشراهة وتلذذ .. وتفرغ امرأة مرتعشة اليدين ما وجدته في  
قارورة حليب من سائل أبيض في جوفها وتلمض ثم تمسح شفثيها المشققتين  
في طرف كمها وتواصل البحث مبتسمة راضية .

أما هو .. فيبحث له عن منفذ بين الأجسام المتراسة ويتسلل بصعوبة  
تسبقه حديدته المعقفة تبعثر الكنوز الضائعة . وبعد طول عناء يعثر على سكين  
تكسر طرف نصلها ويجد حذاء مطاطيا منزوع القدم يعتبره أفضل من الذي  
أضاعه ويقلب اطار نظارتين تهشم منهما الزجاج .



وبينما يلقي بأمتعته الجديدة فى قعر القفة يسمع هدير حيوان قربه فلا يعيره اهتماما .

\* \* \*

وحين يبلغ الصندوق المعدنى الضخم ذروة ارتفاعه يتوقف عن أية حركة ويبقى معلقا ساكنا فى الفضاء دون أن يوجد بما تبقى فى جوفه .

أهو خطأ فى التقدير أم عطب آلى مفاجئ ؟ ويرفع عينين مبهورتين الى السماء مستغربا متسائلا . ولا يطول ذهوله كثيرا إذ سرعان ما تضج حوله الجماعة ويهم بعض أفرادها بتسلق صفائح الحديد المعطلة .

ويتفطن العاملان المنظفان لما يجرى فيتسلقان درجة الشاحنة الخلفية وكأنهما تذكرأ أمرا هاما كانا قد نسياه . ويخلصان من المنفذ الوحيد جسم ثور كامل مسلوخ كان المتسبب الحقيقى فى الانسداد ويجذبان به بكل ما أوتيا من جهد وقوة ويطحرانه دفعة واحدة أرضا فيتبعثر كدس الزباله المتراكم .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

يا للحظ ! كتل كاملة من لحم طرى ، تعرض أمام العيون الجائعة ، هدية نادرة أو وليمة لم تخطر ببال أحد .

- لا تقربوا الذبيحة !

إنه السائق يصيح منبها ومحذرا وقد أخرج رأسه من النافذة :

- إن لحمها مصاب بالداء الخبيث ومن يأكل منه قطعة واحدة يعرض نفسه للأخطار .

لكن تتبخر النداءات والنصائح فى الفضاء الرحب كسحابات صيف . ويرتمى المحرومون على اللحم البرتقالى الغظ جذبا وقطعا وتمزيقا هو بسكينه المبتورة وآخر بقطعة زجاج وثالثة بصفيحة معدنية مستديرة ورابع لم يعثر على أية أداة حادة فأعمل أسنانه فى الثور قضمًا وعضا ونهشا .

ويرتفع الهدير خلفه أكثر فأكثر فما أن يلتفت حتى يتجمد الدم في عروقه :  
سرب من الكلاب الساغبة المتشردة محيطة بالمزبلة تهر هريرا متواصلا فاغرة  
أفواهها وكاشفة عن أنياب حادة لماعة وألسنة حمراء طويلة لاهثة تعلوها رغوة  
بيضاء .

هى أيضا قدمت تشاركهم المأدبة وتقاسمهم الطعام ؟

لم تنتظر الكلاب السائبة نهاية الوليمة لتنال ما تبقى منها فاتجهت بحذر  
وغضب نحو اللحم الثمين تهر وتنبح وتدير رؤوسها يمنة ويسرة علوا  
وانخفاضا وترسم بأذيالها وآذانها حركات التوتر والاستعداد للوثوب .

وتهجم من جميع الجوانب على جثة الحيوان الطريح فتعمل فيه انيابها  
الطويلة نهشا ومخالبا الحادة تمزيقا غير عابثة بفرغ الفرعين وتهديد  
المدافعين .

وتتداخل فى لحظة واحدة من لحظات الزمن الساهى الانياب والاذافر  
والأسنان ويمتزج النباح والصراخ والبكاء . ويلتقى الإنسان والحيوان وجها  
لوجه فيتصارعان وكل واحد منهما يريد افتركاك نصيبه من لحم الذبيحة .

**بوراي عجيبة**

نوفمبر 1986

## من التنشيط الى الترغيب فى المطالعة

يشند ميل الطفل فى السنة الرابعة من عمره الى القصة والحكاية ميلا شديدا ، فتراه يستمع اليها بانتباه وشوق ، ويطلب المزيد منها دون كلل أو فتور . وقد مضى الزمن الذى كنا نستمع فيه الى حكايات الجدة والأم فى ليالي الشتاء الطويلة ، رغم الخوف الذى ينتابنا ، والرعب الذى يجتاح قلوبنا الغضة لان بطل القصة سقط من حالق أو افترسه أسد ، وهو يجتاز الجبال الوعرة والمسالك المخيفة . ولقد عوضت الجدة اليوم وسائل الاعلام كالاذاعة والتلفزة والصحافة بيد أن المربي فى رياض الاطفال أو نوادى الاطفال هو أهم وسيط بين الطفل والقصة اذ هو أقرب الوسائط جميعا الى شخص الام لتأثيره المباشر فى نفسية المتلقى الصغير .

وسنلم فى هذه الدراسة بنشأة القصة وحاجة الطفل اليها وطرق الاستغلال التى يلجأ اليها المربون فى مؤسسات الطفولة للوصول بالطفل الى الترغيب فى المطالعة واكسابه خبرات فنية واطلاعه على مهارات جديدة .

### حاجة الطفل الى القصة :

القصة عموما من أشد الاجناس الادبية (I) تأثيرا فى النفوس لميل الناس عادة الى التعرف على سلوك الغير ، والاستفادة من تجاربه وذلك من خلال أبطال القصة الذين يتحركون ضمن مشاهد متلاحقة وعراقل تقف أمام رغبة الطفل فى الوصول الى مراده ، ومن هذه الناحية فالقصة تحاكي الحياة اذ تبرز ما يلاقيه بطل القصة من صعوبات للوصول الى الارقى .

(I) نشير الى الانواع التالية : أقصوصة - قصة قصيرة - رواية . راجع كتاب ، سمير مرزوقى وجميل شاكر : مدخل الى نظرية القصة ، تونس

• 1986

ان الانسان منذ هبط على وجه الارض كان قاصا بطبعه : فقد كان انسان الكهوف عندما يعود الى مغارته قبل العتمة يقص على صغاره ما لاقاه من صعوبات للحصول على صيده ، ولا شك أن أطفاله كانوا يستمعون الى هذه المغامرات بانتباه ويعدون أنفسهم للدخول فى معمعة الصراع مع الطبيعة ، ولا شك كذلك أنهم كانوا يلحون عليه كل ليلة حتى يقص عليهم قصة يومه المكثور منذ مطلع الشمس الى مغيبها ، ومر الزمن وتلاحقت القرون ، وأصبحت هذه القصص أساطير تروى وقصصا تكتب ، وأضاف الرواة ما رواه عجيبا من الاحداث وغريبا من السلوك ، وأصبح على مر الاجيال لكل مجتمع قصصه وحكاياته ، يرثها الابناء عن الآباء . وامتزج التاريخ بالقصص امتزاجا عظيما ، واختلفت الروايات ، تنوعت الاساليب ، ولم يفرق الناس بين القصة والتاريخ أو بين الواقع والاسطورة الا على يدى ابن خلدون فى مقدمته الرائعة.

وتعكس الكتب السماوية هذا الميل الى القصة فتروى منها الاعاجيب فى أسلوب لا يخلو من متعة ومؤانسة ، وان كان هدفها الى العبرة أقرب ، والى اختصار القصة الحقيقية أميل : فالقرآن الكريم زاخر بالقصص منذ هبوط آدم الى الارض الى أيام الرسول عليه السلام . وقد تعتمد أن يذكر هذه القصص وأشار الى ذلك فى كثير من المواضع (2) .

### ادب الطفل عند العرب جديد :

وبالرغم من اهتمام القرآن بالقصة باعتبارها فنا أدبيا له خاصياته وطبيعته (3) فلم يهتم العرب بهذا الفن الا فى المدة الاخيرة عندما ازدهرت القصة والرواية فى أوروبا ازدهارا عظيما على يدي بلزاك وزولا وتولستوى وستندال وغيرهم من كتاب الرواية والقصة .

- (2) مثال نحن نقص عليك أحسن القصص ( سورة يوسف آية 3 ) .  
كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق ( سورة طه آية 99 ) .  
تلك القرى نقص عليك من أنبائها ( سورة الاعراف آية 101 ) .

- (3) مثال على ذلك ( سورة يوسف ) .



ولم يهتم الأوروبيون بالقصص الموجهة الى الشباب والكهول فقط ، بل التفتوا الى الاطفال فجمعوا لهم قصصا شعبية فى مجلدات ضخمة (4) تدل على مدى اهتمامهم بالنشء الجديد ، ووصلوا اليوم الى تحديد الكنز اللغوى بالنسبة الى الطفل والقصص التى تلائم كل سن على حدة (5) واضح اذن أن أدب الطفل فى العربية جديد ، وليس من السهولة بمكان أن تنزل اللغة العربية الى مستوى الطفل ، فهى لغة الشعر والنثر الذى يحتاج المتخصص فى فهمه الرجوع الى المعاجم والشروح القديمة ، لا بد من مرور الزمن الكافى على البدايات وترويض هذه اللغة الاسد حتى تصبح طائفة للطفل من ناحية وكارهة للكاتب من ناحية ثانية وفعلا فقد مر الآن على التجارب الاولى أكثر من نصف قرن وكان رائد هذه التجربة كامل كيلانى ( 1897 - 1969 ) (6) .

(4) تمثلت المرحلة الاولى فى نشأة أدب الطفل عندهم فى جمع الخرافات الشعبية المتداولة آنذاك فاقبل عليها الاطفال اقبالا كبيرا . انظر : محمد العربى الخطايبى : مدخل الى أدب الطفولة عند الغرب ( مجلة الدوحة سبتمبر 1979 )

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

(5) قبيل الثانية من عمره 200 كلمة تقريبا .

فى سن الثالثة : 900 كلمة تقريبا .

فى سن الرابعة : 1500 كلمة تقريبا .

فى سن الخامسة : 2000 كلمة تقريبا .

« وتنمو لدى أطفال هذه المرحلة القدرة على تكوين الجمل ، ويلاحظ أن هذا النمو يسير بمعدل سريع لذلك اتفق رأى على أن هذه الفترة من الحياة هى الفترة الحاسمة فى نمو لغة الطفل وقدرته على التعبير » مدحت عبد الرزاق عبد النبى : سايكولوجية الطفل فى مرحلة الروضه ص 53 - 54 بغداد 1979 .

(6) انظر فى خصوص كامل كيلانى :

- علي الحيدى : الادب وبناء الانسان .

- مصطفى عبد الله : أربعون عاما فى خدمة الطفل العربى ، مجلة الفيصل 1979 .

ولم يهتم القوم بتجربة الكيلاني الا فى المدة الاخيرة ففى سوريا مثلا لم يظهر أدب للاطفال الا فى سنة 1969 (7) وتعتبر تونس متقدمة فى الاهتمام بهذا الفن ، فقر ظهرت أول قصة موجهة للاطفال أساسا - وان كانت مترجمة - سنة 1962 ، بقلم محمود الشبعان ( توفي سنة : 1983 ) وهى حمراء حمراء .

وان ظهرت بعض القصص فى تونس وبقيّة البلاد العربية من قبل الا أنها لا تتناسب مع الخطاب اللغوى الخاص بالطفل : اذ لا تراعى قدراته الفكرية وامكانيات استيعابه الذهنية واهتماماته الاساسية .

وقد تكاثرت كتب الاطفال بتونس فى السنوات الاخيرة وارتفعت عناوينها (8) الا أن هذا الادب الرابع (9) قد اندست فيه أقلام لا تمت الى أدب الطفل بصلة ، فأصبح من الصعب على الاولياء التفريق بين الادب الجيد والادب الردى ، ولا يأتى هذا التمييز الا باهتمام النقاد - ان وجدوا - بهذا النوع من الانتاج وتقييمه .

وفى انتظار النقد التقييمى لهذا الادب الجديد يمكن أن نؤكد على ملاءمة القصة لمستوى الطفل عقليا ونفسيا وموجهة للطفل أصالة وعاملة على غرس قيم الخير والتعاون والتأكيد على الجد والعمل والابتعاد نهائيا عن قصص السحر والشعوذة التى يصبح أبطالها أثرياء فى غمضة عين ، وتهدف الى تربية الاحساس بالجمال وتنمية النوق ، وتعرف الطفل أخيرا على بيئته ومحيطه وانتمائيه الوطنى أولا وانتسابه الى أمة الاسلام ثانيا ، هذا بالنسبة الى الاهداف الآجلة .

### القصة وسيلة للتنشيط التربوى : الطرق والوسائل :

أما الاهداف العاجلة التى يستطيع مربو نوادى ورياض الاطفال تحقيقها :

(7) عادل أبو شنب : أدب الاطفال فى سوريا ( مجلة الثقافة الجزائرية ، ع 79 ، جوان جويلية 1976 ) .

(8) لا نعرف بالضبط العدد الجملى لهذه العناوين ولعلها تبلغ ألف عنوان حسب التقريب .

(9) صرح لي بعض الكتاب أنه يجنى من الكتاب الموجه للطفل أضعاف ما يجنيه من الكتب الموجهة لغيره .

- فتتجلى من خلال استخدام قصص الاطفال وسيلة للتنشيط التربوى وهى :
- امتع الاطفال وايناسهم بالفن الجميل والصياغة التعبيرية الجيدة .
  - ادخال السرور على نفوسهم الغضة وتغذية احساسهم بجمال القول .
  - واغناء شعورهم بعذب الالفاظ وحسن العبارة لارهاف الذوق والاحساس
  - تشويقهم الى المطالعة والقراءة حتى تصبح عادة لديهم فى المستقبل .
  - تنمية الحيال والابداع والابتكار .
  - تزويدهم بثروة تمكنهم من القدرة على التعبير ووضوح الفهم . أما الطرق الموصلة الى هذه الاهداف ، فى انتظار القراءة والمطالعة التى نعتبرها المصب النهائى لهذه الطرق ، فهى كالمنافذ والمسالك المؤدية الى حديقة المطالعة .
  - وهذه الطرق هى السرد والتمثيل ، والدمى المتحركة والشريط المصور والصور الثابتة والرسم .

#### (I) - السرد :

إن الطفل ما بين سن الثالثة والسادسة من العمر لا يحسن اقراءة عادة فتلجأ المربية فى رياض الاطفال الى سرد القصة فى لغة واضحة ولهجة معبرة ، محاولة أن تبرز بنبرات صوتها أحداث القصة ومراحلها - مقلدة أصوات الحيوانات - إن أمكن - اذا كان أبطالها من الحيوانات ، أو مقلدة الكبار اذا كان أبطالها من البشر حتى يدرك الطفل مشاهد القصة ويتشوق الى تتبع مراحلها . ويمكن أن تختبر مدى ادراكهم لاطوارها بأن يتطوع أحدهم باعادتها على سامع أصدقائه (IO) .

(IO) لا بد هنا من الإشارة الى أن المهم فى السرد هو قرب العربية من الاطفال روحيا ووجود رغبة ملحة لدى الاطفال فى الاستماع إليها ، وإزالة الكلفة بينها وبينهم ، وأن يكون المكان مناسباً لأحداث القصة ، فقد يجلس الاطفال فى قاعة أو فى حديقة أو قرب بئر « لا بد هنا من العناية بالاطفال » عند سرد قصة « الارنب والاسد » أو بجانب نهر « نفس الملاحظة السابقة » فى قصة « الحماة والصياد » اذا كان الطقس مناسباً . ولا بد كذلك أن توزع القصص حسب الفصول فقصة « السحابة الخيرة » مثلاً لا تسرد الا فى الشتاء الخ ...



وسواء كان الطفل قارئاً أم سامعاً فإن القصة يمكن أن يستغلها المربي قصد ترسيخ أحداث القصة في ذهن الطفل ، والتأكيد على بعض المفاهيم والمبادئ التي يريد الكاتب أن يغرسها في ذهن الناشئ .

## (2) المسرح :

يمكن أن تتحول القصة في رياض ونوادي الاطفال الى تمثيلية حوارية « يلعب » فيها الاطفال دور شخصو القصة ، وبذلك ينتقلون من التجريدي الى المحسوس أو من أبطال على الورق الى أطفال متحركين على الركح ، وتدخل هنا الحركة المسرحية في عطاء القصة أبعاداً جديدة ما كان للاطفال أن يتصوروها أثناء السرد أو القراءة وبالتالي فإن التمثيل يملأ الفراغات المتواجدة في مراحل القصة ويربط ربطاً محكماً بين أجزائها . ونحن نعلم أن الطفل ميل الى تقليد الكبار وتمثيل أدوارهم ، مع رغبة في التكرار شديدة يشعر خلالها بالمتعة والسرور ، اذ هو ينغمس في القيام بالدور المسرحي انغماساً شديداً ناتجاً عن تقمص الشخصية : ذلك أنه لا يعرف الحدود بين ما هو واقعي وما هو خيالي ولا شك أن التمثيل يجعل الطفل معتمداً على نفسه واثقاً من قدرته على الابتكار والابداع كما يكسبه هذا النشاط خبرة اجتماعية تجعله قادراً على الانسجام والعيش مع الآخرين .

## (3) - الدمى المتحركة :

يتطلب هذا النوع من النشاط التربوي مهارة يدوية واهتماماً من قبل المربين : اذ يمكن للطفل - بعد تجارب موجهة - أن يقوم بصنع هذه الدمى وبذلك يتحول من متفرج الى مبدع يصنع أبطال القصة بنفسه ، ويبعث في هذه الشخصيات العجيبة الحياة والحركة والنشاط ويكتسب شيئاً فشيئاً القدرة على تحريكها ، وهكذا يتكون لديه التنسيق بين المجرد والمحسوس أو بين الفكرة واليد الصانعة طيلة مراحل انجاز هذا العمل ، والوصول به الى التوفيق بين

راجع في خصوص السرد كتاب :

د . عبد العزيز عبد المجيد : القصة في التربية : 27 - 36 ، ط : 5 ، مصر ، دون تاريخ .



النص والدمية المتحركة ويرمي بعض المربين « بتعويد الاطفال على صنع العرائس والدمى والحيوانات المتحركة من المواد الخشبية أو الاستفادة من المواد البلاستيكية لغرض اجراء عروض مسرحية من جانبهم كلما أمكن ذلك (II) .

#### 4 - الشريط المصور والصور الثابتة :

أن تتحول القصة الى مشاهد وصور مترابطة فهذا حسن ، وأحسن من ذلك أن يقوم الاطفال بهذه الرسوم بأنفسهم وبقطع النظر عن الجانب التقني في هذا النشاط وتحسيس الاطفال بهذين الجهازين ( صندوق الشريط المصور وآلة بث الصور الثابتة ) فان من أهداف هذا العمل احساس الطفل بالقدرة على الانجاز وامتلاك الثقة بالنفس والتعاون مع الغير للقيام بأنشطة هادفة ومن يدري فاعل هذا النشاط التربوي يدفع بالطفل الى الاهتمام مستقبلا بالعمل السينمائي وواضح أن تحويل القصة الى مشاهد وترتيبها تبعا لاحداث القصة يغرس في نفس المتلقي الصغير حب النظام والميل الى التفكير المنطقي واثراء الخيال وادراك العلاقة بين الاسباب والنتائج والقدرة على التنسيق بين الموسيقى والمشهد والحوار ، وهذا غنم كبير يجنيه الطفل وهو يشعر بالمتعة والمرح .

(II) مدحت عبد الرزاق : سايكولوجية الطفل في مرحلة الروضة ، ص 116.

(I2) آلة بث الصور الثابتة معروفة في مؤسسات الطفولة ، أما الشريط المصور فيمكن صنعه بالادوات التالية :

- لوح صلب لانجاز الاطار .
- بكرتان من اللوح ، مسامير طويلة .
- شريط ورق أبيض .
- أقلام ملونة .
- قلم رصاص ، ألوان مائية .
- فانوس كهربائي .
- آلة تسجيل .

## (5) - الرسم :

تلعب الصورة دورا كبيرا فى عملية التربية اذ تستطيع الصورة أن توضح للطفل معلومة تغني عن ألف كلمة - حسب المثل الصيني - ولا قيمة للقصة اذا لم تحو صورا جذابة ملونة تشوق القارئ الصغير لمتابعة احداث القصة ، وما أقل هذا النوع من الكتب عندنا رغم كثرة ما يطبع ويؤلف من كتب يقال انها موجهة الى الطفل .

تنطلق رسوم الاطفال من القصة التى استمعوا اليها ، فيطلب منهم رسم الشخصوس التى يريدون والمشاهد التى يرغبون ، ويترك لهم الحرية فى تلوين الصور التى ابتكروها : « اذ كثيرا ما يستمتع الطفل بتلوين تخطيطات الاشياء التى رسمها بيده ، وان نفسح المجال له فى اختياره الالوان لبعض الاشياء كاللون الاخضر للاعشاب .

أو اللون الازرق للماء فى رسومه الملونة » (I3) .

والقصد من هذا العمل تشريك حواس الطفل فى امتيعاب معانى القصة والربط بين أجزائها .

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

ويحسن بناشري قصص الاطفال أن يطلعوا على رسوم الطفل نفسه ويطلبوا من رساميهم تقليد الطفل فى رسومه وألوانه ، ونقل عالمه الخاص كما هو .

## والخلاصة :

إن هذه الطرق وغيرها تهدف الى قراءة جديدة للكتاب والتطلع الى ما فى محتواه من جمالية ومتعة ، والتركيز على أهمية الكتاب باعتباره المنطلق والغاية . وما عدا ذلك وسائل ترمي الى امتلاك القدرة على الفهم والسيطرة على النص ، وتجاوزه بالضرورة ، وتصبح هذه القراءة على هذا المنوال ابتكارا وابداعا وتطويرا للنص الاصلي خاصة عندما نلجأ الى الوقوف عند حد معين من القصة ونطلب من الطفل أن يكمل البقية أو يعمد الى اطالتها أو تحويرها أو

(I3) مدحت عبد الرزاق : سايكولوجية الطفل فى مرحلة الروضة ، ص 97 .

عند تقديمها فى شكل شريط مصور فيتوصل الاطفال الى تأليف قصة جديدة  
هى بلا شك أقرب الى نفوس الاطفال وأصدق تعبيراً عن عالمهم الخاص من تلك  
القصة التى كتبها كهل ابتعد عن عالم الطفولة ابتعاداً شديداً .

وترمي هذه الطرق أخيراً الى اكتساب مادة المطالعة والترغيب فيها وتوجيه  
الطفل الى تكوين مكتبة خاصة به ، وتوجيهه الى شراء الكتاب واقتنائه والايحاء  
اليه بأن خير جليس فى الزمان كتاب .

علي العربي



## هوس الأيام العشر

هوس تملكني ، هوس قوض صرح استقرارى أياما عشرة • كاد عقلي بهذا الهوس يفلت من بين قضبانه السميكة • كدت به احترق ، به اختنق ، به أجن • كدت أموت • هوس تفاقم فى شعورى كفكرة جهنمية سريعة النوافر ، زرعها الشيطان من لهب النار فى داخلي ، حول كل شىء طعمه حنضلا فى فمي ، كل شىء لونه سوداويا فى نظرى ، بل كل شىء أصبح لا طعم فيه عندى ولا لون • معلقة أشعر كانى بين السماء والارض ، عشت أيامها ، كريشة فى مهب الريح ، قلقة حد التوتر لا مكان يطيب لى فيه استقرار كأن بعوضة ابتلاها بمس فرقصت فى أذنى ، ان جلست يحزننى ذلك الهوس فأقف ، لاستبدال المكان علني أجد راحتي فى غيره ، وان وقفت يحزننى فأجلس عل فى الجلوس أجد ارتياحى ، وان نمت ، ويل نفسى ان نمت ، ينفرد ذلك الهوس بي والليل أبكم حولي ، وهو وحده فى داخلي يتكلم ، يبدد سكوتى وسكينتى ، والساعات كالوزر على النفس وليدة التملل • يسعفني حين ذلك القلب على الظهر ، على الصدر ، على الجنبين ، لكن فى كل الاوضاع كأنما هناك ابر تغرز فى جسدى ، ان نمت يكاد على فراش التملل يجرفني رمادا ، يذيني قطرة عذاب فى كأس التوتر ، وحتى فى غفوتي يصحبنى ذلك الهوس ليزعق عند باب القلب منبهى منها فيستفيق هذا الاخير مفاجعا راكضا كأنما يريد الافلات من بين الاضلع ، تخنقني الجدران ، تكاد تعصرنى بينها عصرا ، يضيق البيت بي حد انقباض الغير يكاد نفسي يتحبس ، ونفسي تختنق حد الموت بين سجنين البيت والجسد ، فأخرج ، عل ذلك الهوس يتبدد فى الاتساع ومع الحركة يتشتت ، لكن أجد الدنيا حولي تصغر ، وتصغر ، وتصغر ، حتى تكاد تحصرنى فى عين إبرة ، فأدخل ، ثم أخرج ثانية ، ثم أدخل ، ثم أخرج دون حاجة معينة لى فى الخارج أقضيها ، فقط أخرج لانى لم أعد أطيق البقاء بين الجدران لم أعد أقدر على النظر فى وجه أمي . كلما نظرت الى وجهها تتعدد الاسئلة فى داخلي ، تتزاحم حد الاكتضااض ، تفيض بها مشاعرى ، تملؤني هلعا وألما يفوق



احتمالي ، يفوق طاقتي ، ويزداد في فرن الالم المفتوح بابه داخل النفس انصهاري ، كلما رأيت أخي الصغير يقبلها بلهفة كعادته غير شاعر بالامر ، وهو ذاهب الى المدرسة ، وهو عائد منها ، وبدورها بين الذراعين كانت تحتضنه ، تضمه اليها حد اعتصاره كأنما تريد اشباع النفس به قبل التباعد الأبدى ، كان صغيرها المدلل ، كان آخر العنقود في أبنائها ، فهو الذى خصته بعناية غير تلك التى تشملنا بها ، برعاية مقتصرة عليه وحده دوننا ، لبسه كان غير لبسنا ، أكله كان غير أكلنا ، وان امتد ظلمه الينا باللسان يشتم ، أو بالسوط يضربنا ، فعلينا أن نتجاوز منه ذلك ، تلك أوامرها لنا وذاك ما اقتنعنا به نحوه ونحوها ، وصار المدلل فى كل العائلة ، أكاد أصرخ بأعلى صوتي وهى تقبله ويخنقني الدمع فأركض الى مكتبي لأضع رأسى بين راحتي مسندة مرفقي على المكتب ، ثم أطلق العنان للدمع فينهمر ، سرا ودون أن يراه أحد وأنا أتلهى بمراجعة دروسى ، أى دروس سيستوعبها ذهني وأنا على تلك الحال ، مضطربة الفكر حد انقراض بقايا الصبر منه ، متمكشة النفس حد التزهده فى كل شيء ، أنظر الموت فى وجه أمي ، أراه فى الركن قابعا يتربص بنا ، ثم أجفف دمعي لأعود الى معهدى ، الى زميلاتي اللاتي كنت أفرغ عندهن شحنتي البكاية وأحدثهن بما كان عندي من هوس .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

منذ عشرة أيام فقط تفتنت الى سبب تكرار زياراتها الى الطبيب فى المدة الأخيرة ، عدت يومها صدفة من المعهد عند تغيب الاستاذ عن درس اللغة ساعتين ، وكنت قد استطببت من الاستاذ ذلك التغيب ، وبمثل ارتياحي تقبلته زميلاتي ، وهو متنفس من تلك الدروس المكثفة اعتبرنه ، واعتبرته أيضا ، واعتبرته للتغيير فرصة لقضاء شؤون ومصالح أخرى كان ذلك الانكباب على الدرس يبعدها جانبا . قلت فى سرى مبرمجة لعطلتي تلك وأنا أسرع الخطى فى طريقي الى البيت وبهجة الانطلاق تحثني على السير ، قلت ونفسي مستمعنى فى الداخل ، سأغير عملي تماما هذا اليوم حتى أخرج عن نطاق الدرس والدراسة ، عن نطاق القسم والاستاذ وتلكم الواجبات ، سأسخر أولا فى هذه الصبيحة جهدى لاعانة أمي فى قضاء شؤونها البيتية ، وأخص منها تلك التى لا تنتهى فى المطبخ سأريحها من عنائه هذا اليوم ، أذهب بدلها لاقتناء ما يلزمها للغداء ، ثم أعيئها فى المطبخ على اعداده أو لما لا أعده وحدى بمفردى حتى تتوفر لها الراحة التى تستمتع بشموليتها وتشعر فعلا

أنني من أجلها بذلت متعبة هي وحدها المسكينة فيه دائما كذلك كانت تحتال عني بالشكر والتطيل في كل يوم عطلة حتى تأخذ معونتي وبعض الجهد مني لمطبخها ، وكنت على التطيل أنشط ، أتفنن في الطبخ مزهوة بنفسى فى حقل المطبخ ، ومن قولها أذكر بعض ما كان يروق لى : تعدينه بطريقة الذوق والتفنن أكلك يا عزيزتي غير تلك التى أنا أعدده بها ، مغرمة لانك ما زلت يا بنيتي ، أما أنا فالخوض فيه كل يوم بدأ يعينني ، لبت أصابعك الجميلة هذه تستمر فى اعداده وتمتعنا بمذاقه المتميز وطعمه اللذيذ ، ويعلم الله وحده إن كان هذا الاطراء منها تحيلا حتى تجرني الى المطبخ أم هي تلك حقيقتها ، لكنني على كل سأمئحها اليوم صبيحتي هذه وأمنحها جهدي ذاك الذى لا أبخل به عنها كلما كان لي هناك بين الدروس فراغ ، ليس لي بعد الظهر ذهاب الى المعهد وغدا يوم عطلة سأراجع فيه دروسى على امتداده متى شئت .

كنت حيث نقف وصلت ، منغمسة كانت فى اتمام تأنيقها أمام المرأة فى غرفة نومها ، تستعد للخروج ، أدركتها عند عودتي الى البيت ، وبعد رسم قبلي التسليم المعهودتين ، المكتوبتين فى دفتر الاخلاق واجبا أؤديه نحوها عند الخروج وكلما دخلت ، قذفت بذلك السؤال الطائش ويا ليتنى ما قذفت به ، كان كصوت فى حمام خالية معايره فينطلق ثم يعود ليصم أذني صاحبه ، قذفت به وكنت غير متوقعة للجواب ذاك الذى عرفت من خلاله سبب زياراتها الى الطبيب المتكررة تلك وأيضا عرفت من الطبيب الذى كانت تتردد عليه ، بحركة بطيئة فيها بعض الاعياء وبعض التأفف من الدرس والدراسة رميت بمحفظتي جانبا ثم بدأت الحوار بسؤالها :

– أراك تستعدين للخروج أمي الى أين ؟ اذا كنت لشراء ما يلزمك للغداء فاتركى ذلك لي ، سأذهب مكانك أنا ، ليس لي ما يشغلني هذا الصباح ، وأيضا أريد أن أخرج شيئا ما عن حياة التلمذة والمعهد .

– لست فى حاجة الى شىء يا عزيزتي ، لقد أعددت الغداء منذ الصباح وانتهيت منه ، لو كنت أعلم رجوعك هذا لتركته لك ، أما الان فعندى موعد مع الطبيب سأذهب له .

– من الطبيب ؟ قلت دون اهتمام بالرد وغير متوقعة للاسم ، حتى فاجأتني بذكر اسم «المورالى» .

مزق هذا الاسم بسرعة البرق خيوط سمعي ليستقر كاسهم فى العمق من شعورى . ثم جرنى الى الانهيار والاسراع بالجلوس على اقرب شىء اعترضنى ، وكانت حافة سريرها وقد تملكنى هلع لم استطع اخفاه عنها ، ثم واصلت أسئلتى الملهوفة المنهلعة :

- ذاك الاختصاصى فى الاورام ؟

- نعم ، هو ذاك .

- ما بك ؟ أعندك ورم ؟ وأين فى الجسم منك استوطن هذا الحبيث ؟

- مالك اضطربت على هذا النحو ، الام رغير مستحق لكل هذا الهلع ، ورم ضئيل فى الثدي ، منذ مدة لاحظته فذهبت به فى التو الى الطبيب وسيستأصله بعد عشرة أيام ان شاء الله ، لقد أوشكت على نهاية التحاليل استعدادا للعملية ، عملية بسيطة قال الطبيب لي ، يمكنني أن أخرج من المصحة بعدها بيوم أو يومين على الاكثر .

قلت والخبر يزعق كالاعصار فى نفسي يهدم اطمئنانيها :

- أعرف بساطة العملية ، لكن الذى يخيفني هو نوعية هذا الورم .

- لا خوف مع الله ، لعله يزول خلال هذه المدة قبل العملية ، وهل كل ورم يخيف ؟

متماسكة كانت وهى تتحدث إلي ، تتصنع الابتسام لتخفف عني ما أفرزته أحاسيسي من هلع . لكن لم يعد يجدى معى بعد اعلامى بالورم ابتسام ، فأنا أعرف نتيجة الاورام ان كانت من النوع الحبيث فهى قاتلة صاحبها عاجلا ودون رحمة به .

ثم خرجت وتركتني وحدي مع هوسي وقد تسلل الى تلافيف أعصابي ارتخاء يشبه الشلل أقعدني حتى عن الوقوف من المكان الذى تركتني فيه ، وانفردت تلك الوسائس بي لتشتعل كالحرير تآكل ما بقي فى النفس من هدوء ، وبدأت



الذاكرة وسط السكون الذى خيم حولي ، تلفظ ما فى اختزانها من معلومات كانت تخيفني حول هذا الموضوع ، أو لعل يد الخوف هى التى نبشت زواياها وانشاءاتها ، يده التى أخذت تهرش بلا وعي كل جزء فى كياني ، فتذكرت عند نبشها ما اطلعت عليه منذ مدة فى جريدة يومية كان مقال يتحدث عن سرطان الثدي والرحم ، وبالحرف الواحد هذا بعض ما احتوت سطور المقال عليه : « إن أكبر نسبة من الاصابات بهذا الداء توجد فى البلدان النامية والعربية لزواج المرأة المبكر وانجابها المتتالي » .

ودون أن أشعر لطمت خدى بكلتا اليدين عند تذكرى ما جاء فى ذلك المقال ، ثم انحنيت برأسى قليلا نحو الركبتين ، وكانت قواضمي بالعنف تضغط على الشفة السفلى حد انمزاقها . وكنت على حافة السرير أجلس وساقاى على الارض مرتكزتان ، قليلا ، منحنية بقيت ، على هذا الوضع ، ثم رفعت رأسى ليسند على الساعد الايمن تحتضنه ، وهو ثقيل يكتظ هوسا راحتي اليمنى ، وصرخت فى النفس متحسرة ويلاه ، ليتنى ما قرأته وما اطلعت عليه ، ليتنى ما عرفت الحرف يوما ، ولا دلني على هذه الحقيقة المخيفة ، فى الجهل راحة للبال أحيانا وطمأنينة لمن يتمتع به ، ليتنى ما وجدت فى هذا العصر ، عصر يتعلم انسانه حتى وإن لم تطأ قدماء مدرسة ، ولم تحمل أصابعه قلما ، تبا لهذا العصر وعلمه وكل وسائله ، عصر يعلم المرء فيه نهايته قبل إبانها . ويل نفسي ! ينطبق ما جاء فى ذلك المقال تماما على وضعية أمي ، فهي تزوجت وسنها لم تنضج بعد ، لم تنتزع ما زالت من عمر الزمن السنين الكثيرة تزوجت ولم تتجاوز السادسة عشرة من عمرها ، ثم أيضا بسبب الصغر فى بداية ذلك الزواج أجهضت مرتين ، وأنجبتنا ستة أطفال متتالية ولاداتها بنا ، ويل نفسي عليها ! كل ما جاء فى ذلك المقال مطابق تماما لوضعيتها ليتنى ما عرفت الحرف يوما ، ولا دلني على هذه الحقيقة المخيفة ، ثم حقيقة أخرى من بين مخاوفي الكثيرة تلك ، هرشتها يد الخوف فنطت لتزيدني فى القلب هلعا ، وهى قريبتها تلك التى كانت تحمل نفس سننها تقريبا ، تجاوزت الاربعين مثلها بحول أو حولين ، ما زال النشاط يبقى على شبابها ، والجمال حط رحاله مع النضج ليصقل أكثر محاسنها . اختطفها - هذه القرية - سرطان الثدي بعد ظهوره بعام واحد فقط ، سحبها خلف دائرة الاحياء وهى فى أوج عطائها للحياة ، ومن بين أحضان أطفالها وهم فى سن حاجتهم لها .



واستيقظت من زحمة وساوسى تلك على حركة دبّت فى البيت عند منتصف النهار ، عند رجوع اخوتى من المعاهد ومن عمله أبى ، فحملت نفسي حملا مجتهدة فى ذلك ، ووقفت متثاقلة أدفع جسدى غصبا نحو الحركة لأقوم بما كانت تقوم به أمي عادة نحوهم ، وأعني بصغيرها عنايتها تلك الخاصة به . لكن ظل هوسى معي من يومها ، فى يقظتى ، فى نومى ، فى سكونى فى حركتى الى يوم العملية ، بعد عشرة أيام طوال كانت ثقيلة ، لحظاتها دبّت على ظهر النفس وثيدة ، كدبيب نملة نحو الصعود من سفح جبل تتسلق . رغم محاولات أمي لا بقائى فى البيت يومها أرعى مكانها اخوتى ، ورغم الحاحات أبى ، لابعادى عن الساحة حتى لا أعلم حقيقة الامر ان قدر وظهرت سيئة نتيجة ذلك الورم ، ورغم شغور البيت من أمي ، ومنى ، وتركه لبعض الاطفال الصغار ، واهمال ذاك الطفل المدلل ، رغم ، ورغم ، ورغم ، صممت يومها حد انكسار كل المحاولات عند ارادتي أن أكون فى المصححة الى جانب أمي أرقب حالتها لحظة بلحظة ، قريبة من طبيبها حتى أتلقف نتيجة تحليل الورم فى ابانه ، ولا أترك لهم فرصة لاختفاء حقيقة الامر عني .

تفاقم ذلك الهوس عندى يومها ، بل عند الجميع ، أثناء العملية قبلها وبعدها تمططت بنا الساعات فى انتظارها ، كنت وأبى بصحبتنا خالي ذهابا وايابا تأكل أقدامنا القلقة أرض المصححة أمام غرفة العمليات ، مزق أفكارنا ، شتات هواجسنا ، شرقية كانت وغربية تجتمع فى معابر النفس فى لحظة واحدة ، شرود يسكن الازهان منا واضطراب يسكن الحس وكل الدواخل ، يطحننا الانتظار فى مطحنة السؤال التائه والتساؤل ، والى دائرة الصمت رحل الحديث بيننا وبقيت الاسئلة تقلبها العيون الزائفة ، حتى انفتح الباب وكادت تلك القلوب تتوقف عن النبض لمجرد انفتاحه خشية أن يحمل الطبيب لنا معه خبرا سيئا ، لكنه أطل علينا والبسمة تسبقه ، منشرح الوجه كان ، يحمل تلك البشرى التى ستزرع فى الاحاسيس فرحا ينعشنا ، بل يحيينا ، ثم تقدم أبى ليبشره بنتيجة الورم السلبية وباقتصار العملية على استئصال ذلك الورم وحسب دون الالتجاء الى قطع الثدي كلها لو تبين فى التحليل السريع الاولى أثناء العملية أن ذلك الورم ايجابى من النوع الحبيث .

فوق شعورى فوق احتمالي ، خارج منطقة الوعي عندى ، تملصت من قبضة الانتظار ، من قبضة الهوس الطويل ، عنيفة حد الزلزال كانت تلك الحركة التى

قمت بها حين سمعت الخبر ، عندما قفزت الى الاعلى كمحب لكرة القدم سجل الفريق الذى اليه ينتمى فى شباك الحصم هدفا ، قفزت حتى كدت ألامس السقف ، كدت أهدمه فوق الرؤوس فينهدم وتنهدم كل الدنيا حولي فى لحظة تلك ، لم تعد تعنيني حولي الدنيا بما فيها ومن فيها . الدنيا هى فرحتي بأمي فى تلك اللحظة بنجاتها من ذلك الداء الحبيث ، بنتيجة الورم السلبية ، بانتها ذلك الهوس الذى قوض صرح استقرارى ، انتهاؤه بالخبر بالفرحة ، بسلامة أمي وخروجها من دائرة الاموات ، وجودها السعيد بيننا احتضانها للمدلل الصغير تلك هى الدنيا بأكملها وبكامل مباهجها عندي ومع تلك الحركة التى قمت بها صفقت تصفيقة كادت النار تنقذ من بين كفي لعنفها ، وصيحة صحتها كانت فى حجمها دويا .

لم أعد استطيع الانتظار حتى ينتهي الحديث بينهم ، ثلاثتهم ، الطبيب ، أبي وخالي ، فقفزت أركض خارج المصححة كفرس السباق عندما فى السبق تنطلق لأبحث عن تكسي أنقل بها تلك البشرى فى أسرع من البرق الى اخوتي ، الى جيرانى ، الى أقاربي وأحبتي ، الى كل الدنيا أنقلها ، وخلت كل الدنيا ستفرح معي ، وخلت كل الدنيا تغني معي « افرح يا قلبي » تلك التى ردها القلب بصوت الصمت مفعما حتى النخاع بالفرحة .

شريعة عرباوي

## الكيلو والعلم

### حكاية صغيرة

حين كنا أطفالا ، كانت قرينتنا الصغيرة تبدو لنا كبيرة كبيرة ، قرينتنا البعيدة الواقعة فى آخر السكة التى ظل يقصدها الكثير للعمل بالمنجم حين كانت أبوابه مفتوحة كأفواه حيوانات خرافية تلتهم سواعد العمال السمراء المفتولة الطرية . تعض ، تعصر ، تطحن ، تسحق أجسامهم .. قرينتنا بلد الأغراب (I) ، كل يأتيها بسره ، بعضهم يحمل أسماء شاذة كانت تشدنا إليها لغرابتها وتشكل الغازا بالنسبة الى عقولنا الصغيرة فنظل نتساءل عن السر الكامن فى خبايا كل منهم .. من هؤلاء « الكيلو » و « أشطاربو » و « الغزال » و .. للكيلو جثة ضخمة عريضة وطباع غليظة وسمرة فاتحة وسحنة تذكر بأحد أبطال الملائكة الزوج فى بلاد « العم سام » ، وهيئة تبعث الرعب فى نفوس الصغار ، صار البعض يخيف به أبناءهم : « اهدأ . أرقد وإلا يجيئك الكيلو ! » لم تكن ندرى هل المقصود باسمه كيلو غرام أو كيلو متر أم كيلو واط ، بعضهم يقول سمي الكيلو لضخامته وبعضهم يقول لأنه استعمل عيار كيلو غرام فى إحدى خصوماته ، أو لعله تراهن مع غيره على أكل كيلو أو كيلوات زلاوية أو شامية فى يوم كان فيه بطنه طاويا خاويا كالغار .. جاء قرينتنا من الجريد وعلى شفثيه شتيمته المحبذة جاهزة للانطلاق فى كل آن :

« لعنة على .. »

عمل بالمنجم أشهر أيام كان الداموس يعنى الموت فتركه وقام بأعمال عابرة.

– لم لم تستقر للعمل بالمنجم وصحتك بخير والحمد لله ؟!

– ماذا ورائى ؟ هل تريدنى أن أموت ؟ لعنة على ..

(I) العبارة لمحمد صالح الجابري من قصته « يوم من أيام زمرا »



منذ حلوله بالقرية اقتسم مع أحد الهامشييين أمثاله سكنى دكان من دكاكين السوق التى ظلت تحفظ الكثير من أسرار القرية والتى أزيل أغلبها الآن .. يكفيه من الطعام ما يملأ البطن وقارورة خمر لينتشى ويجابه برد الشتاء أو قارورة كحول يحرق بها جوفه ودماغه ، إذا لم يجد طعاما يأكل حتى لحم حمار سائب ، بقبضته القوية يصد منافسيه للفوز بدفء بعض النساء ..

ذات عشية صيف ، أفاق من نومه فبحث عن سرواله الوحيد الواسع فلم يجده ، تفقد فراش الكرزون الذى ينام عليه صاحبه ، كان خاليا ، ظل ينتظر قدومه مطرقا ، بعد حين دفع صاحبه الباب بكتفه ودخل يلبس سروال الكيلو وقد فاض على قدميه وتحزم بحبل ، يحمل بيده اليسرى صررا وعلى كتفه اليمنى عصا رفش طويلة تتدلى من أحد طرفيها خرقة قماش خضراء بالية منكمشة ربطت اليها ، انها علم « سيدى » .. فاجأه وهو يضع الصرر والعلم :

- لعنة على .. من سمح لك بلبس سروالى ؟ هيا انزعه والا سأدق عظامك .

ARCHIVE

قال وهو يستجيب لطلبه :

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

- الذنب ذنبى أنا الذى لبسته وخرجت أطوف بمنازل الحى ساعيا للحصول على عشائنا .

- من طلب منك التسول بهذا « العلم » والكذب على الناس ؟ فعلم أى « ولى صالح » هذا ؟ لو صنعت بهذه الخرقة الخضراء التى تدعوها « علما » تبانا يسترك لكان أفضل ..

حين بدأ عدوان الصهاينة على أراضى العرب واحتلال القدس انفجر :

- لعنة على الكلاب ! علينا أن نطردهم من القدس ! أنا لهم ! نحن لهم !

كان من أول المتطوعين للحرب فى قرينتنا ، ذات صباح جاءت شاحنة ثقيلة بطيئة مهترئة الجوانب لتقلهم من أمام دكاكينهم ، ودع أهل الحى والحاضرين من سكان القرية قائلا :



– سامحونا ! إلى اللقاء !

بعد أيام عاد الى القرية حزيننا بالغ التأثر :

– لم رجعت يا الكيلو ؟

– لا ! لا ! لم نرجع ! بل أرجعونا ! قالوا لنا قبل أن نبليخ الحدود : عودوا من حيث أتيتم ، الحرب انتهت وانهزم العرب ! تنهد . ثم أضاف :

– الذنب ليس ذنبنا ، نحن لم ننهزم والحرب لم تنته بعد .

مرت طفولتنا سريعة ، كبرنا فافتقدنا الكيلو وغيره من القرية ، قيل هجرها وابتلعتة احدى الثنايا وقيل فتكت به الكحول . وقال آخر : سيعود الكيلو يوما وقد صار قنطارا أو طنا ، سيعود ليحمل مع غيره علما .. لكن أحمر هذه المرة .

إبراهيم بنسلطان

الرديف 1986/6/18

ARCHIVE  
http://Archivebeta.Sakhrit.com

• « المسار » فصلية جامعية يصدرها اتحاد الكتاب التونسيين .

• « الحياة الثقافية » كل شهرين تصدرها وزارة الشؤون الثقافية .

## فهرس تحليل المجلد العشرون 1988

## I الكتاب

الصفحة	العدد	اسم الكاتب
10	79	ابراهيم الاسود
79	80	ابراهيم بنسلطان
151	82 / 81	ابراهيم بنسلطان
51	80	ابراهيم درغوث
63	82 / 81	ابراهيم درغوث
19	82 / 81	ابو بكر العيادي
65	80	احمد الفهيري
47	79	احميدة الصولي
128	82 / 81	بوراي عجينة
12	80	التابعي الاخضر
11	82 / 81	التابعي الاخضر
23	79	جلول عزونة
28	82 / 81	جلول عزونة
77	80	الحبيب مرموش
37	80	حياة بن الشيخ
54	82 / 81	حياة بن الشيخ
56	80	خديجة الجويني
154	82 / 81	خديجة الجويني
70	82 / 81	خديجة الجويني
83	79	دليلة الزيتوني
27	80	رادي بوجوفيتش
43	79	ريم العيساوي
21	80	زهرة الجلاصي
31	82 / 81	زهرة الجلاصي

العنوان	الصفحة	العدد
سيد عبد العزيز نجم	82 / 81	50
شريفة العرباوى	82 / 81	134
عبد الحميد عبد الواحد	79	59
عبد الله الساعدي المغربي	80	47
عبد الوهاب الفقيه رمضان	79	38
علي العريبي	82 / 81	135
كمال العيادي	80	90
لطفي السالمى	80	82
محسن بن ضياف	79	50
محمد الباردى	82 / 81	37
محمد الخموسى الحناشى	79	18
محمد الشمتورى	82 / 81	122
محمد عبد الرحمان يونس	80	62
محمد الهادى الكعبورى	80	62
محمد الهادى الكعبورى	82 / 81	118
محمود بالعيد	79	5
محمود بالعيد	80	5
محمود بالعيد	82 / 81	5
مصطفى الشريف	80	94
مصطفى الكيلانى	82 / 81	61
منور النصرى	79	97
منور النصرى	80	69
منور النصرى	82 / 81	73
نافلة ذهب	79	35
نور الدين بن بلقاسم	79	87
نور الدين بن بلقاسم	82 / 81	99
يوسف عبد العاطى	82 / 81	80

## المواضيع

الصفحة	العدد	اسم الكاتب
38	79	أسد في الخبرة
128	82 / 81	أقدام في الوحل
43	79	انها غلطة
61	82 / 81	تنقلات في مكان غير معلوم
99	82 / 81	توفيق بوغدير، حياته وأقاصيه
56	80	حتى لا يفر الحلم
35	79	حديث حول الصمت
79	80	الحذاء والوحل
63	82 / 81	حكايات القلب الجريح
10	79	حكاية الحمار الاصهب
50	82 / 81	حوار من طرف واحد
5	80	خروف الجنة
118	82 / 81	خضراء الدمن
37	82 / 81	الخطاب الروائي بين الواقع والايديولوجيا
59	79	دراسة تحليلية لرواية : رجال في الشمس
27	80	دور العربي في الادب الشعبي
5	82 / 81	رحلة الحاج مصطفى
62	80	رحيل النهارات
47	80	زائر الليل
87	79	زمن ولا رجال



الصفحة	العدد	العنوان
90	80	شظايا
80	82 / 81	طريق
5	79	العصفور والقطار
65	80	العقاب
94	80	عقدة الام في قصة «شظايا»
21	80	عمارة الكلم
31	82 / 81	فقاعة النوادر
54	82 / 81	كلمة شيخ معتوه
51	80	كوابيس
151	82 / 81	الكيلو والعلم
83	79	لا سلطان الا للحب
12	80	اللقيط
69	80	لون دمي
50	79	ليلة عيد الميلاد
82	80	ما اجتمع من الزئبق
19	82 / 81	ما لم يذكره التحقيق
154	82 / 81	مسرد القصة التونسية
97	79	معكم على الدوام يا أطفال
47	79	ممارسة الصعب (التحدى)
		من أجل اضافة عربية في ميداني
23	79	القصة والرواية
		من التنشيط الى الترغيب في
135	82 / 81	المطالعة

الصفحة	العدد	العنوان
18	79	الموت بلا مقابل
70	82 / 81	هبنى مثلها أخرى
28	82 / 81	همهمة
134	82 / 81	هوس الايام العشر
37	80	وجنت مرجانة
77	80	الوجه الآخر
122	82 / 81	وجه وضباب
73	82 / 81	ينبت الشر فى السباسب العليا
11	82 / 81	اليوم الاعرج

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

# الفهرس

فهرست العددين الثالث والرابع ( جويلية / ديسمبر 1988 ) المجلد العشرون

3	قصص	تصدير
5	محمود بلعيد	رحلة الحاج مصطفى
11	التابعى الاخضر	اليوم الاعرج
19	أبو بكر العيادى	ما لم يذكره التحقيق
28	جلول عزونة	هممة
31	زهرة الجلاصى	فقاعة النوادر
37	محمد الباردى	الخطاب الروائى
50	سيد عبد العزيز نجم	حوار من طرف واحد
54	حياة بن الشيخ	كلمة شيخ معتوه
61	مصطفى الكيلانى	تنقلات فى مكان غير معلوم
63	ابراهيم درغوث	حكاية القلب الجريح
70	خديجة الجوينى	هبنى مثلها أخرى
73	منور النصرى	ينبت الشر فى السباسب الاخرى
80	يوسف عبد العاطى	طريق
99	نور الدين بن بلقاسم	توفيق بوغدير (حياته ، أقاصيصه)
118	محمد الهادى الكعبورى	خضراء الدمن
122	محمد الشمتورى	وجه وضباب
128	بوراوى عجينة	أقدام فى الرحل
135	على العربى	من التنشيط الى الترغيب فى المطالعة
144	شريفة عرباوى	هوس الايام العشر
151	ابراهيم بن سلطان	الكيلو والعلم
	قصص	فهرس تحليلي (المجلد العشرون)

## مسابقات نادى القصة

يعلن نادى القصة (النادى الثقافى ابو القاسم الشابى) عن المسابقات التالية :

### I القصة القصيرة :

- (1) المسابقة مخصصة لاعضاء النادى فقط .
- (2) أن تكون القصص لم تنشر ولم تقدم لمسابقة أخرى .
- (3) ان تكون المجموعة القصصية مرقونة رقنا عاديا لا يقل عن 150 صفحة .
- (4) يمكن قبول نسخة واحدة مرقونة ويتعهد النادى بتحضير (تصوير) ثلاثة نسخ اخرى .
- (5) ترسل المجموعة بدون ذكر مؤلفها على أن ترفق بظرف فيه اسم المتسابق وعنوان المجموعة المرشحة .
- (6) آخر أجل لتقديم الانتاج نهاية شهر سبتمبر 1989 .
- (7) يعلن عن نتائج المسابقة يوم السبت الاول من شهر مارس 1990 .
- (8) قيمة الجائزة الفان من الدنانير التونسية والجائزة غير قابلة للتقسيم ويمكن حجبها .

### II مسابقة الدراسة القصصية :

- (1) المسابقة مفتوحة لكل الكتاب من اعضاء نادى القصة وخارجه .
- (2) أن لا يكون الانتاج المرشح للجائزة قد سبق نشر نصفه على الاقل .
- (3) أن يكون الانتاج المرشح مقتصرا على القصة القصيرة والرواية فى تونس .
- (4) ان يكون الانتاج مرقونا عاديا فى ما لا يقل على 150 صفحة .
- (5) يقدم الانتاج المرشح فى ثلاث نسخ مرقونة بمقاس 21 x 30 .
- (6) يرسل الانتاج المرشح بدون ذكر اسم المؤلف على أن يرفق بظرف مختوم فيه اسم المتسابق وعنوان الدراسة المرشحة .
- (7) آخر أجل لتقديم الانتاج نهاية شهر سبتمبر 1989 .
- (8) يعلن عن نتائج المسابقة يوم السبت الاول من شهر مارس 1990 .
- (9) مقدار الجائزة الفان من الدنانير التونسية . والجائزة غير قابلة للتجزئة ويمكن حجبها .
- (10) ان لا يكون الانتاج المرشح للجائزة قد سبق نشره فى كتاب .